

موسكو عاصمة الثلوج

صالح مهدي عماش



منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية

سلسلة الكتب الحديثـة
(٧٦)

١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

موسكو عاصمة الثلوج

صالح مهدي عماش

المقدمة

للاتحاد السوفييتي علاقات وطيدة مع العالم العربي ، وقد ترسخت وازدادت وثوقا في الربع الثالث من القرن العشرين ، بل توطدت علاقات صداقة متينة بين العراق وعدد آخر من الاقطار العربية وبين الاتحاد السوفييتي • واحسب ان واجب الصديق ان يعرف الشيء الكثير عن شريكه في الصداقة والعلاقة ، وكلما ازدادت المعرفة كلما توطدت العلاقة وصمدت أمام أحداث الزمن ، لهذا السبب أولا وددت تعريف المواطنين العرب بعاصمة الدولة الصديقة موسكو •

ونظرا لاننا في العراق وفي العديد من الاقطار العربية قد بدأنا بالتطبيق الاشتراكي واتخذناه نهجا وعقيدة ، فقد وجب ان نلم ويلم المواطن العربي من خلال سياحته بتأثير النظرية الاشتراكية على مناحي الحياة وكيف تأخذ طريقها للتطبيق ، سواء في الملهى أو الملعب أو المسكن أو المنتزهات أو اجراءات البلدية في المسكن وتخطيط المدن وادامتها والعناية بها وتوزيع الارض •• الخ ولهذا السبب ثانيا كتبت عن موسكو لتقريبها الى ذهن المواطن العربي وربما أغنيه بعض الشيء عن السفر اذا لم يكن قادرا عليه •

لقد مرّ الاتحاد السوفييتي وعاصمته موسكو بأعظم محنة في تاريخه وتاريخ الشعب الروسي خلال الحرب العالمية الثانية عندما غزته الجحافل النازية في أكبر حملة عسكرية في تأريخ البشرية ، فدارت ملاحم ستخلد أبد الدهر وجرى صراع جبار بين غازٍ عاتٍ دخيلٍ ومستعمر ، وبين مدافع عن وطنه يذود عن حياضه وشرفه ، ويذب عن شعبه • فكانت المعجزة في انتصار الحق على الباطل ، حتى وان كان الباطل مدججا بأقوى سلاح عرفته البشرية ، وبأقوى ماكنة عسكرية عرفها التأريخ وبأوسع تجربة وحنكة عسكرية عرفها الانسان • ولاننا حسب تقديري نحتاج الى المثل الحي لكي نقتدى به ، نحتاج ان نعرف مدى تضحيات الاخرين في الصمود والدفاع عن بلادهم ، وعندئذ يهون لدينا البذل والفداء ، وتطول مدة الصمود ضد اعدائنا •

ان الحيف النازل بالعرب شيء ليس له مثيل في التأريخ ، من تقطيع أوصال الامة العربية الى مجموعة دويلات ، الى سيطرة الاستعمار على أجزاء من وطننا بشكل مباشر أو غير مباشر الى طرد الشعب العربي من أرضه واغتصاب كل شيء لديه كما جرى ويجري في فلسطين وهو حال لعمري لا تحتمله أمة من الامم فلهذا السبب ثالثا كتبت عن موسكو ليعلم المواطن كيف دافع المواطن السوفييتي عن مدينته وكيف صمد وستبدو واضحة للعيان تلك الحقيقة الصارخة (ان ثمن الحرية دم) .

وفي الاتحاد السوفييتي حزب عقائدي يخوض تجربة عمرها تجاوز نصف القرن وقد تغلغل في كل قرية عندهم وله دور خطير في السلم والحرب فبسبب من انضباط الحزبيين وتوعيتهم للاخرين ، نظرا لتواجدهم بينهم باستمرار أمكن حل مشاكل كثيرة ومساعدة الادارة الحكومية والبلدية والمواطنين . على اني لاحظت وجود مظاهر سلبية على نطاق ضيق لم يجر القضاء عليها لحد الان كالمتطلعات البرجوازية واحيانا السعي للانتفاع بطريق غير مشروع أو مظاهر البيروقراطية وتلك ولا شك من رواسب الماضي السحيق وسمات العهد القيصري المقبور .

وفي الحرب كان للحزب الدور الاول في الصمود ولولا وجود الحزب لما أمكن انجاز التعبئة العامة بسرعة وتجنيد العديد من الفرق باستمرار للدفاع عن المراكز الاستراتيجية والنقاط التعبوية المهمة والمدن والمناطق الحيوية ، بل كان الحزب أمام بصر أي جندي وفي ضمير كل مقاتل وفي اذن كل من تسوله نفسه التكاسل في القتال .

ان وجود الحزب وتغلغله في كافة الوحدات العسكرية المقاتلة والوحدات الاحتياطية التي جرى سوقها للقتال ، كان الضمانة الكبرى ضد الانهيارات العسكرية وضد التآمر أو العصيان .

ومن أجل أن نطلع على ذلك وعلى لمحات بطولية في تلك الملاحم لان لدينا احزابا عقائدية ، كتبت عن موسكو رابعا .

وسيرى القارىء الكريم اني وصفت له المنطقة مناخيا وطبائع الشعب واتيت على المدينة من ناحية العمران والمواصلات ، ثم تطرقت الى التعليم فيها وتربية الاطفال والفعاليات الرياضية واسلوبهم في اللهو والراحة ووصف المتنزهات والحدائق ومراكز الثقافة ، والاماكن الاثرية ، ومعالم المدينة الكبيرة، كبرج التلفزيون ، وجامعة موسكو ، وملعب لينين ، وقصر الكرملين ، والساحة الحمراء ، والمترو (قطار تحت الارض) ، ودير العذارى والبانوراما، واخيرا عقدت فصلا خاصا للدفاع عن المدينة في أعظم محنة مرت بها عبر تأريخها وحاولت جهدي ان أفسر أو القي ضوءً على أثر التطبيق الاشتراكي في كل مجال جهد الامكان .

واني لارجو أن أكون قد قدمت خدمة لوطني من خلال النظرة الفاحصة والمنصفة لوطن الآخرين الاصدقاء بعد اقامة دامت سنتين ونصفاً في عاصمة الاتحاد السوفيتي .

واني لأشكر من أعانني من الاصدقاء السوفييت والعراقيين الذين اجابوا على اسئلتي واعانوني على الحصول على المعلومات وبذلوا جهدا في تتبع ذلك واعتذر للاصدقاء السوفييت عما اذا كانت بعض أحكامي تختلف عن وجهة نظرهم أحيانا ، فلست بالشخص المقيم ، وعادة يجد الغريب ثغرات لا يحس بها أبن المدينة . كما اني لست سوفيتيا ، لكي اتفهم الاسباب التي من أجلها عملوا شيئا اختلف معهم فيه ، كما ان لي دوافعي العقائدية ووجهة نظري السياحية أو العسكرية وملاحظاتي الخاصة وكنت عليها أمينا .

وارجو ان أكون قد استفدت وافدت مع تقدير وتحية لمن يقتني هذا الكتاب ويطلع على فحواه ويعي محتواه .

صالح مهدي عماش



موسكو والعالم

موسكو مدينة ذات طابع تنفرد به بين العواصم ، طابع متميز في كل شيء تقريبا من مناحي الحياة .

الشتاء :

طابع متميز شتاء حيث البرد القارس اذ تهبط فيها درجات الحرارة الى حد يكسر العظم ، فتصل الدرجات الى ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر في المدينة ، وربما ٤٠ درجة تحت الصفر في ريفها وضواحيها .

وتكسوها الثلوج بحلة بيضاء زاهية بهجة للناظرين ، وهذا الثلج ويسمونه باللغة الروسية (سنيخ) قد يهبط بين يوم وآخر ، أو على الاقل يهبط مرة بالاسبوع .

والشعب الروسي له ولع عجيب بالثلج وشوق عظيم للبرودة ، فهم يعتبرون درجة الحرارة عشر درجات أو خمسة عشر درجة تحت الصفر متعة ولذة وجو بهيج .

وارجو ان لا يتخيل للقارىء ان البرد القارس هذا يحيط بحياة الشعب حيثما كانوا . فان جميع الشقق ودور السكن والمخازن ومختلف الابنية مدفأة بواسطة التدفأة بالماء الحار ، بل وحتى السيارات تتقي البرد بلباد يقي مبردة السيارة من الامام كمصد للريح الباردة . وهو شتاء طويل قد يصل الى خمسة شهور مبتدئا من شهر تشرين الثاني حتى نهاية آذار ، وليله طويل قد يصل الى ستة عشرة ساعة . بينما يكون نهاره ثماني ساعات تبدأ في التاسعة صباحا ، ويخيم ظلامه في الخامسة بعد الظهر حتى لا يتبين لك الخيط الابيض من الاسود .

الصيف :

وطابع متميز صيفا حيث لا ترتفع درجات الحرارة عن ٣٠ درجة مئوية الا في السنين العجاف القائظة ، أما معدل درجات الحرارة صيفا في النهار فهي

حوالي ٢٥ درجة مئوية • وقد تهبط ليلا الى ثلاث عشرة درجة مئوية لاغيره

وفي بعض السنين العجاف قد ترتفع درجات الحرارة الى اربعين درجة مئوية في الظل ، وهذا نادرا ما يحصل ، واذا حصل فلن يكون الا كل مائة عام ، كما حصل عام ١٩٧٢ ـ فاحدث مع انحباس المطر جفافا أمض الارض والشجر والناس ، واتى على الاخضر فاحاله يابساً ، وهيأ كل الاحراش والاعشاب لكي تتحول الى اتون ملتهب من شرارة نار احدثها سكير أو بقايا سيكارة يقذف بها مهمل غير محترز •

وصيفهم ينتظره الجميع بشوق ولهفة ولهان ، فهو موسم الراحةوالاجازة التي تعتبر عندهم أحد أهم الشروط لتجديد النشاط وازالة اتعاب العام المنصرم، ولهم فيه سياحة وتجوال واسترخاء يمتد شهرا لمن كان دون الستين عاما واكثر من ذلك أحيانا لمن تجاوز ذلك من العاملين والموظفين وطبعا كلهم عاملون سواء في المصنع أو الحقل أو المخزن أو وظائف الدولة •

الربيع :

وطابع متميز ربيعا ، فهو قصير وقصير جدا ، حتى لا تكاد تتعرف عليه او تتبينه الا من خلال وريقات الاشجار التي تزهي بهجة وروعة عند تفرعها من أغصان عتا عليها شتاء وغطتها ثلوج والوت بها رياح حملت اليها برودة قاسية ، حتى انك لتعجب اذا ما أورقت أو اخضرت أو لاح عليها بعض مظاهر الحياة • وهذا الفصل قد يبدأ في المنتصف الثاني لشهر نيسان وينتهي في نهاية مايس •

ولهم في بداية هذا الفصل قصة رائعة ، ففي السبت الاول (من نيسان؟) مظاهرة شعبية رائعة يشمر فيها الشعب كل الشعب شيبا وشبانا وفتيات وفتيانا لتنظيف مدينتهم من بقايا الثلوج ، وتهيأة الحدائق والارصفة والممرات والبيوت لتزرع بالاخضر الثيل ، أو نباتات الازهار الملونة حسب تناسق وذوق أصيل ويدوم العمل اسبوعا • ولن ترى قسرا او ترغيبا فالشعب يعتبر ذلك واجبه الاول نحو مدينته الجميلة • والمواطن لا يشعر انه يخدم احدا ،

حتى ولا نفسه ، وانما هو يخدم الانسانية والاجيال القادمة ، فهـو يقدم البهجة للسائح والغريب ولطفله رجل المستقبل •

الخريـف :

وطابع هذه المدينة في الخريف يندر ان تجـده في مدينة أخرى عـلى المعمورة • فهو الخريف الذهبي الخريف الـذي أحبه بوشـكين ومكسيم غوركي وتغنيا به وتجولا كثيرا في حينه • الخريف الذي يعدو على الشجر والاخضر من الورق فيحيله الى ضعيف يعلوه اصفرار ، وكلما ازداد اصفراره وذبوله أو اشتد تحوله الى لون ذهبي يخلب الالباب ، فترى كـل الغابـات وما اكثرها ، وكل الاشجار المحيطة بالارصفة والشـوارع وما اجملهـا ، وقد تحولت الى حلل ذهبية على اغصان اشجار تودع الحياة وتنبئك ان لكـل شيء نهاية ولكن هذه الجميلة لا تريد ان تغيب او تسقط الا وهي قد اكتست لون اغلى شيء والطف شيء عند البعض وهو اللجين الذهبي •

وخريفهم هذا شبيه بربيعهم ، فهو شهر ونصف واذا طالت بـه الايـام فلن يتجاوز شهرين هما ايلول وتشرين الاول •

اسم موسـكو :

لا شك ان دراسة اسماء المدن والمناطق من الصعوبة بمكان ، اذ له صلة كبرى بتاريخ تلك المدن أو الاماكن ، كما له علاقة بحركات الغزو وتنقلات القبائل وهجرة وحركة الشعوب • ومن الاسماء المعقدة اسم مدينة موسكـو • ولحد الان فان اشتقاقها لا يعتبر من الناحية العلمية محلولا بصورة نهائيـة • شأنها في ذلك شأن العديد من المدن خذ مثلا بغداد فبينما يرى البعض انهـا تعني (بيت الغنم) بالارامية الاخت الشقيقة للغة العربية والتـي كانت سـائدة في العراق والشام (بما فيه فلسطين والاردن ولبنان) ومن الكلمات الاراميـة الباقية لحد الان بعقوبة (بيت العقوبة ، السجن) • بعشيقة (بيت الحب او الغرام) وبطمايا وبعلبك وبيروت ••• الخ يرى البعض الاخر انهـا تعني بستان العدل •

ورد في التواريخ الروسية في القرن الثاني عشر الميلادي اسم مدينة موسكو التي تقع على نهر يسمى موسكو ، وهو نهرها الحالي ، والذي لازال يسمى نهر موسكو ٠

لقد اعتمد أكثر الباحثين السوفيت على فرضيتين لمناقشة اشتقاق اسم النهر هذا ٠

الاول هو الاشتقاق البلطيكي ٠ اذ كانت في المنطقة والى الشمال من بحر البلطيق الكثير من الاستعارات من اللغات البلطيقية أو اسماء بلطيقية لا بد وانها تمت بصلة الى حركات الغزو او الى اسماء الاشخاص البارزين من الامراء السابقين والنبلاء أو الابطال الشجعان ٠ ويساعد على هذا الافتراض هيكل كلمة موسكو (موسكفا) حيث ان (فا) اشتقاق بلطيكي ٠

والافتراض الثاني هو الاكثر احتمالا واقناعا هو الاشتقاق السلافي لتسمية موسكو ٠ اذ يوجد في اللغة الروسية واللغات السلافية الاخرى كلمات كثيرة من الجذر اللغوي (موسك) أو (موزغ) ، والذي يعني المبلل ، وعلى سبيل المثال فان كلمة موزغلي بالروسية و (موسكفا) باللغة السلافية تعني (الخبز المبلل) ٠ أو ان كلمة موزغا بالسلافية تعني (بركة) ، ويوجد نهر صغير اسمه ماسكا ، يشكل فرعا من نهر ادوبنا في ضواحي موسكو ، كما يوجد نهر باسم موزغافا في بولونية ، علاوة على اماكن بايم موسكيف في بولونية أيضا ٠ ومن هذا الجذر جاءت تسمية نهر موسكو (موسكفا) ، وهي تعني المكان الرطب أي المروج المنخفضة ، التي تمتليء بالمياه ايام الربيع عندما تذوب الثلوج من الهضاب والاخاديد فتنزل الى المنحدرات ثم الى هذا النهر٠ وكانت هذه المروج في المنخفضات جنوب موقع قصر الكرملين الحالي ٠ وعند الاحتلال التتري سماها التتر بالجوك ، أي الوسخ أو الوساخة لكثرة المياه والاطيان والاهوار الصغيرة النتنة ربما ٠ ولما كان الروس من الاقوام السلافية، فيمكن قبول التفسير السلافي لكلمة موسكو على انها مدينة المروج ٠ وهو اسم على مسمى كما يقال ، فالمدينة تقع على نهر كثير الالتواءات والفروع ،

وينفرع ليتصل ببحيرات وجداول ووديان كما تتصل به اخاديد ووديان كثيرة تصب فيه صيفا وربيعا وخريفا ، وبسبب من هذا التكوين الطبيعي ، شكلت المنطقة مرجا واسعا جميلا واحاطتها غابات كثيفة وواسعة مترامية الاطراف لا زالت حتى يومنا هذا تحتوي على الحيوانات المتنوعة كالغزلان والابل والغزال البري •

وانواع نادرة من الطيور والحيوانات البرية الغريبة من فصيلة ابن عرس والجرذان الكبيرة والثعالب المتنوعة والقطط الوحشية •

تاريخ المدينة

ذكر أحمد بن زيني دحلان في كتابه الفتوحات الاسلامية ، الصفحة ٣١٤ من الجزء الاول عن روسيا ما يلي ، (واما دولة روسيا المسماة بالموسكوف فهم أيضا مجتمعون من أجناس كثيرة ، ومنهم من ينتهي نسبه الى يافث ابن نوح عليه السلام ، وكانوا قبل استقلالهم في الملك ، تحت الرومانية قبل ميلاد المسيح ثم لما تقوى بعض دول اوربا تغلبوا عليهم فكانوا تحت طاعتهم ، وما كان لهم الاستقلال التام بالملك الا من سنة ثمانمائة واثنين وستين مسيحية الموافق مائتين وثماني واربعين هجرية ، وكانوا يعبدون الاوثان كغيرهم من دول اوربا • ودخولهم في النصرانية سنة ثلثمائة وخمس وسبعين كما تقدم) •

والتاريخ الروسي يشير الى ان الامير يوري دولكاروكي (أي يوري أبو ذراع الطويل) ، هو الذي بنى مدينة موسكو عام ١١٤٧ ، وكانت مدينة دولكا روكي تقع على التلال المشرفة تماما على يسار نهر موسكو ، أي على الجانب الشمالي من النهر عند ملتقى نهر تكلينايا بنهر موسكو ، وبالضبط حيث تقع بوابة بوروفتسكي في قصر الكرملين • وكان من الطبيعي ان تضم المدينة بيوتا خشبية ومرافق من الخشب ، وسكنتها لعدة قرون قبائل سلافية •

وفي عام ١١٥٦ جرى بناء السور الذي أحاط بالمدينة لتتقي به هجمات الغزاة ، اذ كان لموقعها الخطير على ملتقى الطرق البرية والمائية ووسط روسيا

أهمية بالغة في نظر الاعداء والاصدقاء على السواء • وفي عام ١٢٣٨ عصفت بالمدينة جيوش باتوخان المغولية ـ التترية الغازية فاحرقتها •

ومن المشوق هنا ان نذكر ان باتو هذا هو ابن جنكيز خان الذي باشر غزو العالم ، فتمكن من القضاء على مملكة خوارزم شاه الاسلامية في افغانستان وآسيا الوسطى وايران ، وجاء دور ابنه في تدمير الاراضي الروسية واجتياح اوربا • وفعلا وصلت جيوشهم الى هنكاريا والنمسا حيث انتهت دفعة الرتل الوسطى فسكنت قبائل كثيرة منهم هناك وهم يؤلفون الان الشعب المجري واعداد كبيرة من الشعب النمساوي •

أما الرتل الشمالي الذي تقدم نحو شمال روسيا والى اسكندنافية فقد صد كما يبدو اذ لبعد المسافة والانهاك الكبيرين اثر في توقف زحفه فسكن في فنلندة •

وقصة الرتل الجنوبي الذي قاده هولاكو بن تولي بن جنكيز خان معروفة لدينا في العراق والعالم العربي والاسلامي ، اذ جرى احتلال بغداد في شباط عام ١٢٥٨ ميلادية • أي بعد مرور ٢٠ سنة على احراق وتدمير موسكو لاقت بغداد مصيرا مشابها ، وان كان قد فاق المنظر الاول بعمق واثر المأساة بسبب ما كان لبغداد من مكانة علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية ومعنوية •

وفي عام ١٣٢٨ أعلن ان موسكو عاصمة لامارة مستقلة في عهد ايفان كاليتا ، أي ايفان (الدوانيقي) أو ايفان (صاحب حقيبة جمع الفلوس) او ايفان (صاحب حقيبة الجباية) الذي اوجد امارة موسكو العظمى ، فزحفت اليها جموع الروس من مختلف الاتجاهات للاستيطان والاقامة في المدينة وخصوصا من سكان فلاديمير فأصبحت عاصمة الروس التقليدية •

ويبدو ان قصة ايفان كاليتا هذا تشبه قصة باني بغداد الخليفة ابي جعفر المنصور ، الذي لقب بالدوانيقي ، اذ تعذر عليه في يوم من الايام احصاء سكان بغداد بسبب خوفهم من الضريبة ، فاشاع ان في الخزينة أموالا كثيرة وان

الخليفة سيوزع الأموال الفائضة على المواطنين ، وفعلا اذاع ان لكل شخص رجل أو امرأة أو طفل دانق ، فسجل المواطنين اسماءهم للحصول على عدد من الدوانق وهي عملة قد تعادل الواحدة عشرة فلوس وبعد ان اعطى المواطنين الدوانق عاد فاذاع بان على كل من استلم ان يؤدي ضريبة قدرها أربعون ضعفا . وفي ذلك قال الشاعر البغدادي :

وزع الدوانق فينا ... وجانا الاربعينا

فسمى بالدوانيقي .

وفي عام ١٦١٠ غزاها البولونيون واللتوانيون فنهبوا المدينة ، وعاثوا بها وسلبوا نفائس وخزائن الكرملين ، ودام احتلالهم لها سنتين الى ان حررها الشعب بقيادة كوزمامنين وديمتري بوزخارسكي .

وفي القرن الثامن عشر على عهد بطرس الاول ، نظمت المدينة بشوارع مستقيمة ورصفت دور الاسكان بانتظام وواجهاتها على الشوارع وادخل عليها تجميلات هامة .

وفي عام ١٨١٢ غزاها نابليون بجيوش جرارة اجتاحت اوربا جميعا كالسيل الجارف ، فتصدى الروس بقيادة ميخائيل كوتوزف في عهد القيصر اسكندر الاول للجيوش الفرنسية في برادينو الكائنة على مسافة ١١٠ كيلو مترات الى الغرب من موسكو ، وتمكنوا من ايقاف هجوم صاعق دام ١٥ ساعة على مواقعهم واوقعوا خسائر بجيش نابليون بلغت ٦٠ ألف اصابة ، الا ان ذلك لم يمنع الامبراطور العنود من مواصلة الزحف نحو موسكو ، فقررت الدولة الروسية ترك موسكو دون قتال فدخلها نابليون وهو يأمل ان يجد فيها متسعا من الوقت والمكان لقضاء فصل شتاء قارس شديد البرودة بعد ان انهكت جيوشه الاسفار والمعارك .

وفي مبنى الكلية الجوية العسكرية الحالي في شارع لينغراد انتظر نابليون وجهاء البلدة ليتسلم مفاتيحها ، وعبثا كان انتظاره ، فلم يأت أحد وكان

السكان قد هجروها • وأضرمت فيها النيران فاشتعلت المدينة نارا وخرجت الدور وحطم الجيش الفرنسي معظم أسوار الكرملين وابنيته •

ثم انتقلت العاصمة الى مدينة بطرسبرغ وهي لينينغراد الحالية وبعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ انتقلت العاصمة الى موسكو ، اذ في ١١ آذار ١٩١٨ اقامت فيها الحكومة السوفيتية برئاسة فلاديمير لينين •

وفي عام ١٩٤١ غزت الاتحاد السوفيتي الجحافل الالمانية وكان هتلر قد شدد الحملة عليها لاخضاعها ، وان كانت المصادر الالمانية تنتقد هتلر لانه لم يحاول ان يدرك أهمية موسكو العسكرية ولا سمح بتركيز الهجوم عليها مبكرا اذ كان يريد ستالينغراد لانها تحمل اسم زعيم الاتحاد السوفيتي وخصمه العنيد ستالين • وقد ذاد السوفيت عن مدينتهم وقدموا من التضحيات ما تبقى خالدة أبد الدهر ، وتفننوا في ضروب الشجاعة والاقدام ونكران الذات دفاعا عن الوطن ، وذودا عن الشرف ، وحفاظا على المكتسبات الانسانية التي حبتهم اياها الاشتراكية •

وكان الطوق الالماني يزداد ضيقا فاندفاع جارف من الغرب عند تولا وكالوغة ، ثم محاولات من الجنوب للاقتراب من ضواحيها واندفاع شديد من شمالها من على طريقي لينينغراد وفولاكولامسك ، فدارت رحى معارك رهيبة وحشية ، صبر بها الطرفان واخيرا كان صبر الروس جميلا ، فصدوا الجيش الالماني على مسافة ٤١ كيلومترا من الشمال • وقصة الدفاع الانتحاري لفرقة المشاة ٣١٦ التي كان يقودها الجنرال بانفيلوف على طريق فولوكولامسك من أخلد قصص البطولة • صحيح ابيدت فرقة بانفيلوف ، وبانفيلوف نفسه قضى في الميدان بشرف عال ، ولكنهم لم يسمحوا لعدوهم ان يمر ولو حتى على جثثهم • كل جندي لدبابة المانية ، يالها من بطولة ويالها من شجاعة • فخلدوا موسكو وخلدوا الاشتراكية وذهبوا هم في الخالدين •

العمارة

١ – ولموسكو طابع خاص في فن العمارة ، قد لا يبدو للمهندسين انه الروعة أو آية فيها ، أو هو البهجة أو الفن الحديث • ولكني اراه منسجما تماما مع النظرية الاشتراكية ، فالارض للانسان والجو للانسان والحياة كلها يجب ان توفر لخدمة الانسان ، بهوائها وبيئتها وازهارها وفسحتها لذلك تناثرت العمارات هنا وهناك بمسافات ليس فيها لمحتكر تأثير ، أو لتاجر أرض تدخل أو مماطلة في البناء أو تأثير على الشوارع بالتواء • وكل ما يؤثر هو العلم الذي يوفر للانسان السكن الصحي والبيئة الحسنى والمتعة البريئة والصحة الموفورة والسعادة والهناء •

مجمعات سكنية تبنى بسرعة عجيبة وترتفع طوابق فطوابق ، وبين المجمعات مسافات قد تصل حدود المائة متر بين الواحدة والاخرى لكي تفسح مجالا للحدائق وملاعب الاطفال والطرقات وتفسح مجالا أوسع وهذا هو المهم لتخلل الهواء وانتشار اريج الازهار ، وتبعد الواحدة عن الاخرى مسافة تبعد عن ضجيج الانسان وصخب الآلة من سيارة أو مترو أو قطار •

٢ – لقد وضع لينين مخطط اعادة بناء مدينة موسكو ، اذ عهد الى اشهر مهندسي الاتحاد السوفيتي امثال شوزيف وساكولين وشوستاكوف وزوبوتوفسكي وضع المخطط وتقرر البدء بانشاء المترو (القطار تحت الارض) •

٣ – يوجد في موسكو الان مليونا شقة بينما كانت ٢١٧ ألف شقة قبل ثورة اكتوبر ، وان معظم هذه الشقق مزودة بتدفئة مركزية والماء الساخن والغاز ومرتبطة بنظام المجاري • ويبني مجلس مدينة موسكو ١٢٠ ألف شقة سنويا ويهدم حوالي ٢٠ ألف من الشقق القديمة ، ويشترك في

البناء حوالي نصف مليون مواطن سوفيتي ، وسيستمر العمل بهذا المعدل حتى عام ١٩٨٠ • ويجري تسليم ٤٠٠ شقة يوميا الى المواطنين ، والشقق هذه ملك للدولة تتقاضى عنه بدل الايجار ١٣-١٤ كوبيك ، بما يعادل ٥٠ فلسا عراقية عن المتر المربع الواحد من مساحة الشقة • ويشكل هذا الايجار ما يعادل ٤٪ من دخل الفرد الواحد في العائلة ، أو ١٠٪ من راتب رب العائلة •

هذا وستحصل كل عائلة في موسكو بحدود عام ١٩٨٠ على شقة منفصلة تتناسب عدد غرفها ومرافقها مع عدد أفراد العائلة ، وسيكون عدد الغرف بزيادة الغرف غرفة واحدة عن عدد أفراد العائلة ، أي اذا كانت العائلة من ثلاثة اشخاص فستكون الشقة من أربع غرف ، وتكون بمعدل ٢٠ مترا مربعا لكل شخص •

٤ ـ يبلغ عدد سكان المدينة حاليا سبعة ملايين واربعمائة ألف نسمة ، وقد تقرر المحافظة على هذا العدد وعدم زيادته مهما كانت الاحوال ، لذلك فان المدينة ستحافظ على مساحتها الحالية والبالغة ٨٧,٥٠٠ ألف هكتارا أي ٨٧٠ كيلو مترا مربعا •

المواصلات

١ – يحيط بمركز المدينة شارع السدوفوية (الحلقة) ، والذي يبلغ عرضه ٨٠ مترا وطـــوله ١٥/٦ كيلومترا ، واذا ركبت فيه بالسيارة وداومت بالمسير فستعود الى نفس النقطة التي ابتدأت منها . وقد سبب هذا الشارع تسهيلات هائلة لحركة السيارات والنقل والتجارة . كما أصبح مركـزا ثقافيا وفنيا اذ تتكاثر عليه أو ترتبط به عن قرب أهم معالم موســـــكو التاريخية والثقافية والفنية .

٢ – ويحيط بمدينة موسكو من الخارج الشارع المحيط الثاني ، ويســـمى أيضا السدوفا الخارجي أو الشارع المحيط (كالتسوفايا دروكا) واسمه الرسمي (اكروجنايا دروكا) وهو بطول ١٠٩ كيلو متر .

٣ – وسيجري قريبا انشاء شارع كبير وهو السدوفا الثالث ، يبعد عن الثاني مسافة ٥٠ كيلو مترا وسيكون طوله ٢٥٠ كيلو مترا يحيط بالغابات التي ستكون محصورة بين السدوفا الثاني (اكروجنايا دروكا) والسدوفـــا الثالث الجديد وبحزام عمقه ٥٠ كيلو مترا ، وذلك لتحسين البيئة والنزهة والسياحة علاوة على استغلال هذه الغابات للاغراض الصناعية ، ويمنع بشكل مطلق بناء أية منشآت بين السدوفتين .

هذا ويبلغ مجموع شوارع المدينة وساحاتها ٤٥٢٠ شارعا وزقـــاقـــا يبلغ مجموع مساحاتها ٥٨ مليـون مترا مربعـــا واطـوالها ثلاثـة آلاف وخمسمائة كيلو متر .

٤ – وتوجد في مدينة موسكو شبكة من المواصلات ربمـــا تعتبر من أضخـــم الشبكات في العالم . فهي في الوقت الذي تسمح بانطلاق السيارات بسرعة

في شوارعها العريضة جداً ، فان الشبكة تضم الباصات التي تسير على خطوط منتظمة ، وكذلك الترولي باص الذى يسير على سكك حديدية ويعمل بالكهرباء• وبشكل مختصر تحتوي المدينة على ١٢٥ جسرا و١٢٠ نفقا للمرور •

٤ - وتضم الشبكة قطارات تحت الارض والتي تسمى (المترو) الذي بدأ العمل به عام ١٩٣١ وهو الان في طريقه الى التكامل • وقد بلغت اطواله الى ١٦٠ كيلو مترا وستبلغ ٣٢٠ كيلومترا مع احتمال زيادتها الى ٤٥٠ كيلومترا لاختصار الوقت لغالبية سكان المدينة ، بمعدل ٣٠ - ٤٠ دقيقة عند الانتقال من أماكن سكناهم الى محلات عملهم • والمترو هذا يندفع بسرعة تصل الى ٧٥ كيلو مترا في الساعة ، وعلى شبكة الى مختلف الاتجاهات ، وينقل المترو يوميا حوالي ٥ ملايين راكبا من مجموع الاشخاص الذين تنقلهم شبكة المواصلات والذين يتجاوز عددهم ١٣ مليونا من الركاب • وانه لامر معروف ان المدن الكبيرة في العالم مثل لندن وباريس ونيويورك لديها قطارات تحت الارض أيضا ، ولكن مترو موسكو لا يقارن بتلك القطارات وهو من المؤسسات التي يفخر بها السوفيت باعتباره أحسن مترو في العالم سواء في سعته أو في نظافته أو في فن العمارة ، اذ عملوا في كل محطة ما يختلف تماما عن المحطة الثانية ، ولكل محطة طابع خاص قد يكون متصلا بالتراث الفني الاقليمي لمنطقة ما ، أو يجسد روائع الفن (الرسم) في بعضها بينما تجسد محطة اخرى روائع فن النحت ، لذلك يجد المسافر متعة كبيرة في التطلع الى جدران محطات المترو والانتقال من محطة لاخرى • والبيئة وحالة الجو في مترو موسكو صحية للغاية اذ يتجدد الهواء اربع مرات في الساعة ، ويجري سحب الهواء من مناطق مشجرة خلال اليوم بمعدل ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ويبدل الهواء القديم خلال اقنية وانفاق عديدة خاصة

وقد ركبت لغرض ضخ الهواء النظيف مراوح عديدة في مناطق عديدة مشجرة وقوة كل مروحة بطاقة ضخ ٢٠٠ ألف متر مكعب من الهواء في الساعة •

واجور التنقل بالمترو ٥ كوبيكات أي ما يعادل ٢٠ فلسا عراقيا الى أبعد نقطة في المترو ، أي بغض النظر عن مدة البقاء في التنقل او التبديل الى خطوط اخرى أو التنقل الى مسافات بعيدة •

٦ ـ ويبلغ عدد سيارات التاكسي الان ١٨ ألف سيارة يتوقعون بعد الانفتاح السياحي أن يصل عددها الى مليون سيارة •

وعلى الرغم من شبكة المواصلات هذه ، فالمدينة تعاني من نقص في المواصلات اسوة بالمدن الكبرى في العالم ، وان كان المواطنون السوفيتانفسهم لا يشعرون بحدة الازمة أو يضجرون من ذلك بسبب من انضباطهم العام ، والطابع الذي طبعتهم فيه الاشتراكية ، في تفضيل ما للصالح العام على المصلحة الشخصية ، وبسبب من التوعية الذي يمارسها الحزب ، وشرح اسباب أية ازمة أو ضائقة بعلمية وواقعية •

الطبائع الشعبيَة

وطابع لموسكو يتميز عن غيرها وعلى أصح تعبير طابع لسكان موسكومختلف تماما عما تجده في غيرها من المدن عدا العربية • فهي كبغداد والقاهرة والجزائر ليست فيها تفرقة عنصرية ولا فضل لاسود على أبيض أو ابيض على اسود أو روسي على اذربيجاني الا بالعلم ومستويات النجاح •

طابع لها منسجم مع النظرية الاشتراكية وتعاليم الماركسية اللينينية ، فالانسان شقيق الانسان ، والانسان في خدمة الانسان على سواء من اجل الصالح العام ، وليس من أجل منفعة ذاتية تؤدي الى استغلال جهد الاخرين •

فالشعب محب للغريب حدوب عليه ، عطوف على المسكين والبائس والفقير ، يأخذ بيدك في رفق وتؤدة ، بعيد كل البعد عن القسوة ، وربما تعجب اذا اخبرتك اني لم ار شجارا بين اثنين طيلة عامين • وهو أمر يختلف كليا عما يجري في المدن الامريكية والاوروبية الغربية التي تحكمها الانظمة الرأسمالية • ان الماركسية علمت الناس وطبعتهم بطابع المحبة والسلام والاخاء • وان تعاليم السلام جرت في مجرى دم الانسان فهو ان اشتد به الغضب لن يستعمل اسوء من اللسان للوم والعتاب بعبارات مؤدبة لو تعمقت في تتبعها لخلبت لرقتها وآدابها الالباب •

ولا أطيل عليك فانهم يزوجون بناتهم لكل الغرباء ، وليس هناك تمييز بين آسيوي أو افريقي • ويخالطون كل الناس سواء كان أشقر من السويد أو أسود من الكنغو ، ولا أطيل أكثر فانهم انشأوا جامعة لاحد رجال الحرية الافارقة ، اسمه باتريس لومومبا في موسكو تسمى جامعة لومومبا أو جامعة الصداقة ، تكريسا لذكرى رجل خدم السلام ، ربما لم يكن شيوعيا ولو كان شيوعيا فربما كان القدر له ان يلبس لبوسا شيوعيا افريقيا ، ومهما يريد ان

يكون لومومبا فسوف لن يكون روسيا ، بل كما ضحى لو عاش لكان افريقيا من الكونغو ، ويخدم الكونغو اولا وافريقيا ثانيا والسلام العالمي ثالثا ، وطبائع الاشخاص شيء يجب ان يسجل ويكال له بالثناء . هم عرب في الكرم والتسامح هم في دماثة الخلق عنوان لهذا الحقل أو الموضوع . انا لا أدعي اني عرفت كثيرا منهم ولكني في حاجة الى ان أشير الى بعض من عرفت ومن يمثلون هذه الطبائع والصفات الحسنة . عرفت عمالا منهم سواقا للسيارات مثل ايكر وايفان ويورا وفالودى وعرفت عمالا مثل بيتر وفناكين وعرفت سياسيين أو مثقفين كباباجان غفوروف وسعيد كامل وبشيروف وبافل دمجنكو وروماسيف ونائب وزير الخارجية كوزنتسوف وستيانكو السفير ووزراء كشيلكوف وتيربابكوف وغروميكو وبتسوسف وبروكوفيف وشاشين والرسام فكتور شابوف وكلازونوف أشهر رسامي الاتحاد السوفيتي ونالبنديان الملحن الشهير والشاعر المبدع المعروف اناتولي سفرونوف ورجالا وطدوا الصداقة العربية ـ السوفيتية ، كوسيجن رئيس الوزراء ونوابه مازاروف وبوليانسكي وبايبكوف ونوفيكوف وآرخيبوف ورئيس لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية الخارجية سكاجكوف فهل اختلفت وجهة نظر كوسيجين ووزراءه عن وجهة نظر الفلاح فناجين أو العامل فالودي لوكانوف أو ناديجدا مولجانوفا أو رايسا ارخيبوفنا دروبيازكو السكرتيرتان . كلا طبعهم الحزب باخلاق واحدة ووجهة نظر واحدة في تصورهم للاشتراكية والحياة الاجتماعية والسياسية . ووسمتهم الاشتراكية بطبيعة واحدة كل ذلك لان جميعهم فهموا الحياة فهما واحدا وان اختلفوا بالمنصب والدرجات الوظيفية . وان اختلفوا في المنصب فان ذلك لا يستوجب اطلاقا ان يختلفوا في صفات الحياة المثلى والمثل الانساني الذي يسعى نحو الكمال . كلهم على خلق جيد وخدمة للانسانية تأتي واقولها دونما تردد في المرتبة الاولى بين سكان المعمورة .

وعرفت اشخاصا مثل اناتولي سفرونوف رئيس تحرير مجلة اكنيـوك (الشعلة) ، الشاعر المبدع والانسان الفنان ، والرجل الذي ضحى وناضل في سبيل الوطن والعقيدة ، بما لم يقم به الا العدد القليل من المؤمنين بعقيدتهم والمضحين بارواحهم • اولئك الذين استرخصوا الغالي في سبيل الشرف والكرامة • كان أبان الحرب العالمية الثانية يلقى به بالبراشوت لكي يقرأالشعر لفصائل الانصار ، فيلهب حماسها في الصمود والتعرض للعدو الغاصب ، كان الفدائي الشاعر أو الشاعر المحارب أو الفارس الفنان في ضرب اعداء وطنه • وكم في ذلك من مخاطر ، وكم في ذلك من تعب واجهاد ، وكم في ذلك من عبرة لمن يعتبر • وانه لدرس لاولئك الشعراء من أبناء امتنا العربية الذين تركوا روح الفروسية واهتموا بالترف من الحياة والمباذل والسفاسف منها ، لم تشغلهم سوى متع الحياة • ولم يعرفوا من النضال أكثر من الهمس ، والهمس الحزين فقط ، لان عودهم لم يقو على تحمل صدمات الحياة وأساليب النضال ولم يسمعوا بقصة سفرونوف • ان سفرونوف يفيض بالحيوية وحب الحياة والتمتع بها ، وذلك حق له لانه بذل في سبيل الوطن والذود عنه ما يجعل الوطن وفيا لان يكرم ويبجل ويرفه سفرونوف ، لكي يخلق ألف سفرونوف جديد • لم يكن بالاساس من العساكر ولم يتدرب على تحمل المشاق كمحترف للحرب ، لكن روحه الوثابه وايمانه بالعقيدة وحبه واخلاصه للوطن ، جعل منه انسانا أكثر صلابة من الكثير من العسكريين واكثر اندفاعا في التضحية ، لانه شاعر لانه فنان ، وقبل كل شيء لانه انسان يحب وطنه وآمن بوطنه ، وقديما قيل حب الوطن من الايمان •

ترى كم سفرونوف يمكن لامتنا ان تلد وكم سفرونوف يمكن لبعثنا واحزابنا ان تخلق وتبلور • يستحيل ان يكون الجواب سلبيا فالشعوب ليست مصابة بالعقم ، ولكنها ربما مصابة بمرض انعدام الرؤيا وانعدام التوجيه ومرض الانطوائية بسبب التعصب ، وقد آن الاوان لكي ندرس تجارب الاخرين ودروس الاصدقاء وروائع الشعوب ، وخير تلك التجارب والدروس والروائع

ما كان عند الاشتراكين طالما كنا اشتراكيين ونؤمن بذلك • ونجعل ايماننـــا قولا وعملا •

لقد وقف الجنرال بانفيلوف ورجاله وهم العسكريون ، لكي يموتوا في سبيل الوطن دفاعا عن عاصمتهم موسكو ، وهذا الشاعر الفنان الذي لم يولـد بطبعه وسجيته وسلوكه عسكريا ، وانما ولد وعاش لكي يكون الانسان الفنان، هذا البطل كان بانفيلوف بصورة شعبية ، كان يريد ان يموت عـدة مـرات وتلك أشجع شجاعة الشجعان ، في كل القاء بالبراشوت وراء الالمان المحتلـين كان لا يدري الخاتمة ولا يعرف ماذا يؤول المصير ، ولكنه كان يناضل باسلوبه الخاص باسلوب الفنان لكي يموت دفاعا عن الوطن او لكي يجـعل الاخـرين يحيون في سبيل الوطن • لقد ردوا له الجميـل واعترفوا لـه بالنضال وارادوه وهذه حقه ان يكون مثلا للاجيال القادمة •

اذ ان الاجيال القادمة هي التي تصنع الغد السعيد وهي التي تصـــنع التاريخ وهي الاهم من ذلك التي ستواصل مسيرتها الاشتراكية •

لقد بوأوه منصب المسؤول عن مجلة الشغيلة (اكنيوك) ، من أكبـر واوسع وارزن مجلات العالم ، التي تطبع مليوني نسخة في كل اصـدار ، لسبب واضح جدا ليس لانه مقتدر وشاعر وفنان وله طول باع في الكتابة او حذلقة اللسان ، بل لانه مارس النضال عن كثب ، وارادوا من كـل قارىء وكل فتى وفتاة من جيل المستقبل انيكون سفرونوف، وارادوا من سفرونوف ان يكون الموجه ، وان يكون الاب الحنون لابنائه ، والقائد لجيلهم الجديـد والمعلم الفنان لمن لم يسمع او ير ماذا حدث في الحرب العالمية الثانية مـن بطولات ونضال وتضحية وفداء ، وان يكونبتوجيهه وتجربته وخبرته وروحه

الوثابة وايمانه بعقيدته خير ملقن للجيل الجديد ، وخير ناقل أمين لنضال الاشتراكيين في الصمود ولفداء الاشتراكيين في الذود والذب عن عقيدتهم ومسيرتهم •

ربما هناك مئات من الادباء والشعراء من هم مثل سفرونوف ولكن ليس بينهم سفرونوف الشاعر الشجاع وسفرونوف الواعي وسفرونوف الانسان •

ولعل بعض ادبائنا وشعرائنا الذين اهتموا بالسفاسف والهمس والغموض ، وابتعدوا عن روح الامة العربية فسعوا الى تحطيم تاريخها ولغتها واصالتها ، فصففوا الكلم المبهم والخيال السمج ، فاقتلعوا أعينهم أو تحدثوا عن شفقة الشمس في الصباح الازرق ، أو النجوى القرمزية وحلاوة النسيان في انياب الذئب الضبابية ••• الخ فابتعدوا كثيرا عن الجماهير ولهفتها للاستماع لكلام يشبه الغذاء كذلك الذي كان يقوله سفرونوف لعلهم يرعوون ، فيبذلوا لامتنا العربية من جهدهم بكلام أصيل ومفهوم على الاقل ويبتعدوا عن هذا الهذر الذي يسمونه شعرا •

ان شعر سفرونوف الوجداني والحماسي يباع باسطوانات كما تباع الاغاني • تحية لسفرونوف كمناضل والف تحية له كفنان مناضل ، وتحيات وانحناءات له على تضحيته مع حب وتقدير له من كل المناضلين في البلاد المظلومة المناضلة واضيف له تحية متواضعة صغيرة ولكنها من القلب ، انها تحية من صديق •

والروسي محب للادب ولوع بالفن ، ظاميء للشراب ، اثرت فيه الظروف المناخية ، فطبعته بطابع خاص اعتقد انه قريب جدا من الطابع العربي • او البلدان الاخرى التي لها نفس الظروف المناخية •

لنتصور قسوة الشتاء وهطول الثلوج طيلة خمسة شهور وانقطاع الطرق بين القرى والمدن ، ذلك طبعا قبل الثورة الصناعية ولنتصور ان كميات هائلة

من الثلوج غطت المروج ، ولم تكن في حينه مهنة للانسان الروسي أو غيره سوى الزراعة . وأية زراعة ستكون في الشتاء ، فما كان على الروسي الا ان يقبع في بيت ينشد الدفء ويهيىء من الغابات وسائل التدفئة ، ويحاول التغلب على الكسل والبطالة بشيء مفيد . من هنا كانت الاجتماعات والحديث بل والاكثار من الحديث ، فنشأ أدب القصة والشعر والرسم والنحت ، مع عادة تعاطي الشراب لسببين للحصول على الدفء أولا وقتلا للوقت ثانيا .

وفي مجتمعنا العربي القديم ، حيث كانت المسافات الواسعة تفصل بين خيام وخيام وقبيلة وقبيلة أو قرية واخرى في شبه الجزيرة العربية ، لم يكن امام العربي الا ان يخدم ضيفه التعب بالاكثار من الاكل والشراب وتوفير الراحة .

وليس لهم في نهارهم الا السماء والرمل والسيف والخيل والبيداء ، فتغنوا بها وبعوارضها وبالسماء ونجومها وليلها . فكان الكرم والشعر والنجدة .. الخ .

وقد طبعت الطبيعة الروسي بطابع البرودة والصبر الجميل ، وما احسب ان شعبا أكثر صبرا على الحياة مثلهم ، ترى ذلك في وقائع تاريخية ، أهمها صبرهم العجيب في الدفاع عن وطنهم في وجه ماكنة هتلر العسكرية وجيوشه الغازية الفتاكة ، وصبرهم على الغرب الذي لوح بكل تهديد ووعيد وفنون الحرب الباردة فما اثرت على الروسي في شيء وصبرهم الملحوظ في انتظار مكان في مطعم أو سينما أو دخولهم في صفوف منتظمة طويلة لشراء مادة من مخزن ، أو الدخول للبالشوي تيتر (المسرح الكبير) . خصال حميدة يتعذر ان نوفيها حقها مدحا ، ولا أجد فيها ما يمكن ان يقال مدحا ، وخير من يفهم ذلك من يحتك بهم ويجربهم عن قرب وكثب .

الخدمات العامة

أحسب ان موسكو تنفرد بين العديد من مدن العالم في تقديم الخدمات الاجتماعية كاملة للمواطنين ، وذلك طبعا انسجاما مع الايديولوجية الاشتراكية التي يتبناها النظام ويعمل مجلس مدينة موسكو بهداها ويتصرف انطلاقا منها . ولو اردنا ان نتوسع في سرد ذلك لاقتضى ذلك وقتا طويلا وربما مجلدات خاصة . واني هنا اسجل ارقاما بعجالة واختصار لاعطي القارىء فكرة خاطفة عما هو كائن ، وعندئذ له ان يتصور الجهد الكبير الذي صرف في كل منحى من مناحي الحياة وكل مجال وعلى كل صعيد .

١ ـ يبلغ عدد العيادات الخارجية الطبية ١٢٥٠ عيادة في مدينة موسكو ، ويبلغ عدد الاسرة في المستشفيات ١٠٢ ألف سرير ، أي بمعدل سرير واحد لكل ٧٠ مواطنا سوفيتيا ، وهو رقم كبير سواء في الاسرة أو العيادات الخارجية ، ولا سيما وان المواطنين جميعا بصحة جيدة شأنهم شأن المواطنين الاوربيين الاخرين ، أو من الناحية الصحية أحسن ، وخصوصا اذا ما علمنا ان التدابير الصحية الوقائية في الاتحاد السوفيتي واسعة النطاق واصبحت من الامور المنتشرة في كل مجال ومنحى من مناحي الحياة . وهذه التعليمات الوقائية الصحية سواء في المعمل أو البيت أو المدرسة أو الشارع والمخزن ، كفيلة بحد ذاتها ان تعادل ضعف عدد الاسرة والعيادات الخارجية الطبية .

٢ ـ تضم المدينة عام ١٩٧٣ خمسة آلاف مخزن و٨٠٠ مطعم ومع زيادة سنوية في المخازن بحدود مائتي مخزن . وطبعا مع تزايد عدد السواح سواء منهم المواطنون السوفيت من مدن اخرى او السواح الاجانب ، فان مجلس المدينة يبذل طاقات جبارة لمضاعفة عدد الفنادق ، وحسب الخطة الخمسية الحالية فسيجري اضافة فنادق تتسع لعشرة آلاف سائح .

٣ ـ ستضاعف النوادي الثقافية ومراكز الثقافة والنوادي الاجتماعية ، أما دور السينما فان عددها سيتضاعف أربع مرات ويجرى الان ضمن الخطة الخمسية انشاء عشرين سينما جديدة تتسع لاربعة وعشرين الف مشاهد بعضها تتسع لاكثر من الفي مشاهد .

٤ ـ في موسكو لا تخلو بقعة ارض من نشاط رياضي ولا تخلو محلة من نادي أو ساحة أو مسبح ، ولنتصور جيدا ذلك ، أقول لكم توجد في موسكو ٥ آلاف مؤسسة رياضية بضمنها ٧٠ ملعبا و٢٩ مسبحا صيفيا وشتويا و٢٤٠ ساحة كرة قدم و١٢٠٠ نادي لالعاب القوى .

٥ ـ يقال على سبيل المزاح ان أقوى طبقة في الاتحاد السوفيتي هي طبقة الاطفال ، أو ان الشخصية الاولى في الاتحاد السوفيتي هو الطفل ، وليس أي شخص آخر مهما علا مركزه السياسي أو الاجتماعي . ولذلك ركز سوفيت موسكو على العناية بدور الحضانة ورياض الاطفال ، فهو ينفق حوالي ٨٠ مليون روبل أي أكثر من ٣٠ مليون دينار عراقي لمؤسسات الاطفال هذه ، والتي يدخلها ثلثا أطفال موسكو قبل مرحلة الدراسة الابتدائية ، يشرف عليها ويديرها كبار الاساتذة والمنظمات الشعبية وبمشاركة الآباء والامهات من أجل العناية الفائقة لخلق جيل الثورة ، وسيبلغ عدد دور الحضانة ورياض الاطفال ٦٠ ألفا عند نهاية الخطة الخمسية الحالية !! يوجد في موسكو الان ١٢٥٠ مدرسة ابتدائية ومتوسطة . يبلغ مجموع طلابها مليون طالب ويدرس منهم ٩٠٪ في مدارس ذات دوام واحد .

ان التعليم في الاتحاد السوفيتي عموما وليس في موسكو فقط مجاني والزامي ، ويجرى افتتاح ٣٠ـ٣٥ مدرسة سنويا تتسع الى ٣٠ـ٣٥ ألف طالب . وينفق سوفيت موسكوسنويا ١٦٠ مليون روبل على التعليم العالي . ان تعداد المدارس العليا هو ٧٧ تضم ٦٥٠ ألف طالب كما ان هناك ١٤٠ مدرسة ثانوية اختصاصية بلغ مجموع طلابها ٢٣٠ ألف طالب .

وتشجيعا للطلبة الذين يحققون تقدما ملموسا في دراستهم الاكاديمية تعطى لهم المنح الشهرية كرواتب أو هدايا تصل في مجموعها الى مائة مليون روبل سنويا .

أما المدارس المهنية والتي تعد المواطن ليكون عاملا ماهرا فنيا فعددها ١٥٤ مدرسة يدرس فيها ٧٠ ألف طالب وطالبة .

هذا وبامكان أي مواطن سواء الموظف أو العامل والعاملة في المطعم والفندق والمعمل ان يواصل دراسته العليا على ان يوفق بين الدراسة والعمل ، بل ان ادارة العمل تقدم تسهيلات خاصة منصوص عليها قانونا للاشخاص الذين يواصلون دراستهم المسائية العليا ، مثل القبول والعطل واماكن العمل .. الخ .

٦ ـ سيصل معدل ما يصيب الفرد السوفيتي في العاصمة ١٠٠ لتر من الماء يوميا، وسوف تستهلك المؤسسات الصناعية والبلدية في نهاية الخطة الخمسية بمعدل ٥٠٠ لتر من المياه لكل فرد في العاصمة يوميا ، طبعا بما في ذلك المياه اللازمة للصناعة والتدفئة والسباحة والغسيل . ونلاحظ ان جميع خزانات المياه في كافة انحاء المدينة محفوظة تحت الارض ، ولا بد ان ذلك احدى مقتضيات الدفاع المدني ، وساعدت عليها وجود المرتفعات والهضاب التي بنيت عليها المدينة .

٧ ـ لا شك ان مدينة موسكو انظف مدن العالم اذا ما أخذنا تعداد السكان بنظر الاعتبار ، ولم ار مدينة مثلها نظافة سواء في اوربا أو امريكا . وهذا طبعا رغم الظروف الطبيعية القاسية التي تمر بها المدينة احيانا كثيرة، بل نقول طيلة فصل الشتاء ، وهو عندهم طويل ، وطيلة فصل الصيف. حيث تهطل الثلوج بكثرة شتاء والامطار بغزارة صيفا .

وقد أعد مجلس المدينة مئات السيارات الكبيرة الخاصة بامور التنظيف ، وهي تعمل ليلا ونهارا ، في دفع الثلوج نحو الارصفة ، ثم تأتي رافعات الثلج الطوعية الاوتوماتيكية ، وانه لمنظر لطيف ان ترى

يدين آليتين تتحركان حركة تشبه حركة يد الانسان اذا اراد جمع شيء الى صدره ، بتحريك اليدين الواحدة بعد الاخرى • ثم تدفع هـذه الرافعة الثلج على نطاق (قايش عريض بعرض ٨٠ سنتيمترا الى الاعلى حيث تنتظر احدى سيارات اللوري وما ان تملأ حتى تتحرك فتحل محلها الاخرى وهكذا) •

وما هي الا فترة يوم أو يومين حتى تكون المدينة قد نظفت • هـذا علاوة على عشرات السيارات التي تحمل التراب والملح لالقائه في الشوارع على الثلوج لكي تمنع تزحلق السيارات حتى يحين موعد ازالة الثلوج •

وتعمل بعد ازالة الثلوج أو صيفا لتنظيف الطرق مئات السيارات ، بما فيها الكانسات الآلية وسيارات الرش وسيارات اسقاء الحدائق وارووائها ورش الثيل على مساحات كبيرة على جانبي الطرق •

كما يوجد في كل عمارة سكنية صندوق حديدي ، مساحته حوالي متر ونصف مكعب ، تلقى فيه فضلات العمارة • وفي كل يوم تأتي سيارة لوري بها رافعة آلية تلقي صندوقا فارغا جنب صندوق الاوساخ المتلي وترفع المتلي الى ظهرها آليا وتنطلق بسرعة • والقانون يحمي المدينة من الاوساخ فهو يعاقب بالغرامات النقدية من يلقي أعقاب السكاير والنفايات في الشوارع •

٨ ـ وعلى الرغم من اختلاف مستوى الشوارع في موسكو بسبب وجود المدينة على أرض متموجة ، فان شبكة المجاري فيها صممت لكي تمرر الكميات الهائلة من المياه ، سواء منها مياه الامطار أو مياه ذوبان الثلوج في دقائق معدودة الى نهر موسكو •

٩ ـ كل انسان طبعا يتمتع بالكهرباء والتدفئة بالماء الحار والماء المعقم وبمبلغ زهيد جدا لا يقارن في أي مكان في الكرة الارضية ، ويمكن ان نقول

ان ما تصرفه العائلة من الماء والكهرباء والتدفئة المركزية بالماء الحار والماء الحار للغسيل يتراوح بين ١٠ روبلات الى ١٥ روبلا شهريا •

ناهيكم عن ضمانات الامن التي لا حدود لها ، اذ تكاد الجريمة تكون معدومة وليس ذلك نتيجة لتواجد شرطة النجدة أو رجال الامن والشرطة • وانما يعود ذلك لطبيعة الشعب التي تبتعد عن الجريمة وكل ما يتنافى مع السلام ، وما ذلك الا نتيجة الجهود الجبارة التي بذلها الحزب في مجال التوعية والتطبيق الاشتراكي •

١٠- اجد من الصعب الفصل بين نشاطات مدينة موسكو ومجمل نشاطات الاتحاد السوفيتي ، لذلك أجد من المفيد ان أعرض للقارىء الكريم مجملا من الارقام مقتبسة عن نشرة منظمة اليونسكو التي تعتبر أقرب الى الصحة من غيرها من النشرات ، وهي تتمتع بثقة واحترام في كافة انحاء العالم هذا علاوة على كونها منظمة عالمية وارقامها ليست أرقام دولة واحدة تريدالدعاية لنفسها • تقول اليونسكو ما يلي :-

أ - يوجد في الاتحاد السوفيتي ١٣٤ ألف نادٍ ودار ثقافة •

ب - عدد متاحف الاتحاد السوفيتي ١١٤٤ متحفا •

ج - يوجد في الاتحاد السوفيتي ٣٦٠ ألف مكتبة تضم ثلاثة آلاف مليون كتاب ومجلة •

د - في الاتحاد السوفيتي ٣٩ ستوديو سينمائي •

هـ - يوجد ٥٤٧ مسرحا للمحترفين تواصل تقديم نشاطاتها التمثيلية •

و - عدد المؤسسات الجامعية العالية ٦٣ •

ز - عدد المؤسسات الثقافية والفنية الثانوية ٤٤٥ مؤسسة •

ح - عدد مدارس الاطفال للموسيقى والرسم فقط ٥ آلاف مدرسة •

ط - توجد ٥٢ جامعة و٧٥٨ معهدا منتشرة في انحاء الاتحاد السوفيتي

ى ـ يصدر الاتحاد السوفيتي الكتب والمجلات الفنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بـ ٨٩ لغة من لغات شعوبه .

ك ـ الاتحاد السوفيتي أول بلد في العالم من حيث عدد المترددين على المسارح ودور السينما والمتاحف والمكتبات العامة .

ل ـ ٤٠٪ من الخريجين في الاتحاد السوفيتي من المهندسين المختصين في شتى فروع الهندسة .

م ـ يمارس التدريب العلمي في مؤسسات التعليم العالي ثلث الطلاب .

ن ـ تم تدريب ٢٥ مليون اخصائي ذي تحصيل علمي عال أو متوسط في كافة فروع الاقتصاد والثقافة منذ ثورة اكتوبر حتى الان .

س ـ توجد معاهد عالية في ٣٣٠ مدينة سوفيتية .

ع ـ يعمل حاليا في الاقتصاد الوطني السوفيتي ١٧ مليون شخص ذي تعليم عال أو ثانوي متخصص .

ف ـ نصف مجموع الاطفال في الاتحاد السوفيتي يدرسون في مدارس ريفية .

ص ـ في عام ١٩٧٥ سيكون مواطن سوفيتي واحد من بين كل ثمانية حاصل على التعليم العالي أو التعليم الثانوي الخاص .

ث ـ لقد انهى ٤٠ ألف طالب أجنبي دراستهم العالية في الاتحاد السوفيتي .

خ ـ سيصل عدد الاطباء في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٥ الى ٨٤٠ ألف طبيب (أي سيكون هناك طبيب واحد لكل ٣٠٠ مواطن !) .

واني اذ أشرت الى هذه الصورة المشرقة البراقة المدعمة بالارقام ، فان ذلك لا يعني ان كافة المعظلات والمشاكل قد جرى حلها في الاتحاد السوفيتي، ومدينة موسكو بالذات .

ومن المتعذر ان نقرر ان كل شيء ايجابي ، فهناك سلبيات ومظاهر سلبية من بقايا الماضي والعهود المقبورة تتمثل في البيروقراطية التي يحاول السوفيت جهدهم القضاء عليها ، وهناك تطلعات البعض لاستغلال النفوذ لا ينكر الحزب الشيوعي السوفيتي وجودها . بل وهناك مظاهر البرجوازية لدى البعض تعتبر نقطة في بحر من الايجابيات والتطبيقات الناجحة في وطن يضم العشرات من القوميات التي تختلف اختلافا واضحا في تكوينها وعاداتها وتقاليدها وظروفها المعيشية والمناخية .

الاقتراب من العاصمة :

ليس من حاجة لذكر وسائل المواصلات البرية للوصول الى موسكو ، فهي متعددة ومن جميع الجهات واحسب ان معظم الاجانب يؤمونها جوا . وهنا تجدر الاشارة بان لموسكو أربعة مطارات رئيسة تتحول الى ستة لان الاول مطار شيرميتفا مقسم الى قسمين (شيرميتفا ١) وهو الذي يربط العالم الخارجي بالاتحاد السوفيتي و (شيرميتفا ٢) على الجانب الاخر من المطار وهو الذي يربط الاتحاد السوفيتي بالدول الاشتراكية ، وهذا المطار كائن شمال مدينة موسكو على بعد ٤٠ كيلو متر .

أما المطار الاخر فهو مطار فنكفا وينقسم ايضا الى مطارين فنوكفا ١ يربط القسم الشمالي والغربي الاوربي من الاتحاد السوفيتي بموسكو .

أما فنوكفا ٢ فهو مخصص للاشخاص المهمين من درجة نائب رئيس وزراء فما فوق ، ولهبوط واقلاع طائرات الضيوف من درجة نائب رئيس وزراء فما فوق .

أما المطار الاخر فهو مطار (دومو ديدفا) وهو يصل موسكو بالقفقاس وآسيا الوسطى وسيبريا والشرق الاقصى من الاتحاد السوفيتي .

اما المطار الرابع فهو مطار (بيكوفو) الذي يستخدم لربط موسكو بالقسم الغربي من الاتحاد السوفيتي . أكثر العراقيين والعرب يتصلون بموسكو عبر مطار شيرميتفا ١ .

وأول ما يجلب النظر كثرة الغابات التي تغطي أراضي الاتحاد السوفيتي حتى لتصل الى تغطية ثلث اراضي الاتحاد السوفيتي ، وهي نسبة كبيرة اذا ما علمنا ان الاتحاد السوفيتي أكبر من العراق خمسين مرة ، فتكون الغابات تغطي مساحة تعادل ثلاث عشر مرة بقدر مساحة العراق •

هذه المناظر الخلابة والمروج الزاهية والحقول اليانعة بين الغابات الخضراء ، لا تراها الا اعتبارا من مايس كل عام حتى تشرين الاول ، أما شتاء وهو يبدأ من بداية تشرين الثاني فكل شيء مغطى بالثلوج ، فهو أبيض لا ترى خلاله الا بعض أشجار الغابات المورقة شتاءا •

على كل حال تأخذ بعد المطار طريقك الى كمرك المطار ، وهنا قد يختلف الامر عما هو في مطار بغداد أو المطارات الاخرى ، اذ يمر المسافر بحكم ضوابط الامن باسئلة وتفتيش قد لا تريح البعض ما لم يفهم السبب ومقدار التآمر سابقا على الاتحاد السوفيتي • واحسب الان ان هذه القيود قد اوشكت على الزوال •

في الطريق الى موسكو عبر طريق لينينغراد تمر على نصب له قيمة تاريخية كبيرة وهو عبارة عن ثلاث علامات ضرب أو ثلاث أكسات باللاتينية بارتفاع مع القاعدة يصل الى عشرة امتار ، وكثيرا ما يتساءل السواح والمسافرون عن هذا النصب فيكون الجواب انه يشير الى المكان الذي تمكن فيه الجيش الاحمر من صد زحف الجيش النازي الرهيب على موسكو من ناحية الشمال ، وهو اخطر اقتراب سجلته الجحافل المدرجة الالمانية في الحرب العالمية الثانية ، في دوامة عاتية من الملاحم الحربية تصارعت فيها بضراوة عشرات الملايين من الرجال ، وعشرات الالوف من كل من الدبابات والمدافع والطائرات ضرب فيها رجال الاتحاد السوفيتي ونساؤه مثلا رائعا وخالدا في الصمود والتضحية والبطولة الفذة دفاعا عن الوطن وذودا عن العقيدة •

وهذا النصب موضوع في هذا المكان لكي يسهل على السواح والمسافرين رؤيته اما مكانه الحقيقي فهو على مسافة أبعد الى الشمال من موسكو على مسافة ٤١ كيلو مترا من مركز موسكو اذ تمكن الجيش السوفيتي من ايقاف الزحف الالماني على خط نهر ايسترا الذي يشمل قرية كراسنايا باليانا (القرية التي ولد فيها الاديب الروسي الكبير ليف تولستوى) ـ محطة كريوكوفو ـ قرية كاتيوشكي . وكانت الحالة عند توقف الالمان كما يلي :

تمكن الالمان من احتلال كراسنايا باليانا .

تمكن الالمان من احتلال نصف محطة كوريكوفو بينما احتفظ السوفيت بالنصف الثاني ، ولم يتمكن الالمان من احتلال كاتيوشكي ، وكان خط الاماكن الدفاعية الامامية القصوى للجيش الاحمر يمر عند حافاتها الشمالية .

ولما كانت المعركة العنيفة قد دارت عند كوريكوفو فقد اقيم النصب الاصلي فيها وابدل اسمها فهي الان تسمى زيلنوكراد (المدينة الخضراء) . ومن ارض المعركة هذه أخذت جثة أحد الجنود السوفيت ودفن في جدار الكرملين وهو يمثل الان الجندي المجهول ، حيث يحتفل بوضع الاكاليل عليه تقريبا كل يوم ، سواء بالمناسبات الرسمية السوفيتية أو عند زيارة كبار المسؤولين الاجانب أو المناسبات الوطنية وزيارات الشباب والطلبة والمؤسسات من مختلف انحاء الاتحاد السوفيتي .

وفي اليوم السادس من شهر كانون أول عام ١٩٤١ شن السوفيت هجومهم المقابل العام بسبعة عشر جيشا ضد جحفل جيش المركز الالماني الذي كان يهاجم موسكو بقيادة المارشال فون بوك ، والذي كان يضم جيش الميدان الثاني والجيش المدرع الثاني بقيادة الجنرال غودريان والجيش المدرع الرابع بقيادة المارشال كالوغة .

ولم يتوقف الهجوم السوفيتي على المستوى الستراتيجي حتى احتلال برلين ومحو النازية .

وقد كتب تحت النصب الجمل التالية :

في آخر ساعة

اندحار القوات الالمانية في ضواحي موسكو

(في كانون الاول ١٩٤١ قامت قوات جبهتنا الغربية بعد ان انهكت العدو في المعارك السابقة بهجوم معاكس ضد تجمعات اجنحته . وبنتيجة هذا الهجوم حطمت هذه التجمعات وتراجع على عجل تاركة المعدات والسلاح ومتحملة خسائر فادحة) .

مكتب الاعلام السوفيتي

كانون أول ١٩٤١ .

ولا شك ان هذا النصب لا يرمز فقط الى عناد السوفيت في الحرب وتضحياتهم وتصميمهم على النصر بل يرمز الى تصميمهم على حماية الاشتراكية. وهم يلقنون ابناءهم والاجيال القادمة على ذلك ، علاوة على ما في النصب من معنى جليل لتخليد الابطال المجهولين الذين اظهروا في الحرب ضروب الشجاعة وماتوا دفاعا عن الوطن .

هذا علاوة على انصبة اخرى تحيط بمدينة موسكو تخلد ذكرى الوقائع والتضحيات في صد الغزاة شمال وغرب وجنوب المدينة .

مَعالم المدينة

١ - يقول السوفيت وعلى وجه التخصيص الروس منهم ان عاصمة الاتحاد السوفيتي العظيمة تضم أعلى برج تلفزيون في العالم ، واكبر فندق في العالم ، واكبر جامعة في العالم . ولكني كأجنبي نظرت للامور نظرة المتفحص وليس مجرد نظرة السائح ، وجدت هذه المنفردة تقف شامخة لكي تفخر بها تحوى امورا فريدة في العالم وهي :-

أ - برج التلفزيون أعلى برج في العالم .

ب - جامعة موسكو أكبر بناء جامعي في العالم .

ج - فندق راسيا أكبر فندق في العالم .

د - المترو (قطارات تحت الارض) اجمل وانظم وانظف وارخص مترو في العالم .

هـ - البانوراما (معركة برادينو ضد نابليون الاول) اجمل وانظم بانوراما في العالم .

و - السيرك السوفيتي أحسن وأكبر سيرك طبعا في العالم .

ز - المسرح الكبير (البالشوى تيتر) أكبر وأشهر مسرح باليه في العالم.

ح - قصر الكرملين أكبر وأقدم قصر في العالم لا زال يحكم .

ط - معرض المنجزات السوفيتية الدائم أكبر معرض دائم في العالم .

د - بيئة موسكو انظف بيئة بالنسبة للمدن الاخرى الكبيرة في العالم .

ك - مستوى الجريمة في موسكو أقل مما هو عليه في أية مدينة مساوية لها في العالم .

ل - مدينة موسكو انظف من أية مدينة مساوية لها في العالم .

م - موسكو مقر أكبر حزب عقائدي في العالم .

وهذه ولا شك تشكل أهم معالم المدينة بالاضافة الى الكورنيش الجميل والبحيرات المحيطة بها وقصور الاطفال والملاعب والنوادي والعمارات الضخمة ذات الطابع الستاليني الفريد •

والشوارع الحديثة كشارع كالينين ولينين وكوتوزف وغوركي وكارل ماركس وعشرات التماثيل للشعراء العظام كبوشكين ومايكوفسكي وليرمنتوف .ايسينين والمفكرين العظام كلينين وكارل ماركس وانجلز وتولستوي وكوركي القادة الكبار ككتوزف وجرجينسكي ••• الخ •

وسوف اتطرق باختصار الى أهم هذه المعالم جهد امكاني لعلي اقدم للقارىء الكريم انطباعا مبسطا وتصورا سهلا لهذه المدينة الجميلة الجبارة •

برج التلفزيون

استغرق التفكير والتخطيط وبناء البرج نفسه مدة عشر سنوات • فقد استمرت المناقشات حول جدوى انشائه ومكان وكيفية انشائه مدة خمس سنوات، أما مرحلة اعداد المخططات والتصاميم فقد دامت سنة ونصف ، بينما استغرق بناء البرج فعلا اعتبارا من يوم المباشرة بحفر اسسه ثلاث سنوات ونصف السنة •

تتطلع اليه شامخا من مسافة اربعين كيلو مترا أو الى ما يمتد اليه البصر في الايام الصاحية • يترك أعلى العمارات والبنايات العالية أقزاما عند حافاته السفلى •

وهو بحق أعلى برج في العالم وأعلى انشاء على المعمورة اصله ثابت راسخ وفرعه في السماء •

يتألف هذا البرج العظيم من ١١٢ طابقا متساوية في ارتفاعاتها • ويبلغ ارتفاعه الكلي ٥٣٣ مترا • بما في ذلك البناء الكونكريتي والمعدني فوقه ، ومن عجيب الصنعة ان هذا البناء الهائل الذي يبلغ وزنه الكلي ٥٥ ألف طن ويبلغ مقدار ضغطه على الاساس من خلال ركائز البرج ١٠ آلاف طن ، يقف على

قاعدة كونكريتية سمكها فقط ثلاثة أمتار ، وقد استندت عليها قواعـــد البـرج بشكل هندسي بارع .

هذا البرج الكبير يهتز ولا تعجب فانه يتحرك وان مقـــدار الاهتـــزاز والميلان حاليا هو ثلاثة امتار ونصف المتر بينما قد صمم ليتحمل ميلانـا مقـداره ١٢ متراً ، أي أن أعلى نقطة في البرج ممكن في حالة العواصف أو الهـــزات الارضية ان تتحرك الى ١٢ مترا الى اليمين ومثلها للشمال !! .

وهذا أمر يجعله يصمد اتجاه اعتى العواصف والهزات الارضية المعروفـة بالتاريخ ، مع عامـل امان كبير يجعله يصمد اتجاه الاعتى منها كثيرا .

ان الذي جعله بهذه القوة من الثبات ليس البناء الكونكريتي ، فقـــط ، وانما الحبال الفولاذية وعددها ١٥٠ حبلا ، التي مدت داخل حيطان الجـذع وكل حبل منها بقوة ٧٠ طنا .

يقع البرج في منطقة جميلة من مدينة موسكو في الجهة الشمالية منها ،على بعد خمسة عشر كيلو مترا من قصر الكرملين ، في منطقة كانت اقطاعية لاحد الامراء من آل رومانوف تسمى استانكينو .

ولما كان البرج قبلة للسواح فقد اهتمت البلدية (مجلس مدينة موسكو) بالمنطقة وما جاورها ، بحيث أصبح الناظر من أعلى البرج الى المنطقة وما يجاورها يتطلع الى مناطق خلابة وجنان نظرة ومروج يانعة وساحات وملاعب وطـــرق مواصلات آية في الجمال والتنظيم .

ولما كان البرج يستوعب يوميا بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سائح على طول أيام السنة ، فيمكن ان تتصور ان أكثر من نصف مليون سائح يزور البرج سنويا، وهذا العدد سيزداد اذا ما قلل الوقت المسموح لكل زائر أو اذا ما زيدت عدد وجبات المطعم المتحرك في أعلى البرج .

هذا المطعم جميل وانيق وواسع يقع في ثلاثة طوابق ، كل منها يسمى قاعة وهي القاعة الذهبية والقاعة الفضية والقاعة البرونزية ، وفي كـــل منهـا

تسعون مقعدا ، أي ان المطعم يستوعب ٢٧٠ زبونا في آن واحد • والمطعم محيط دائري على امتداد المحيط الداخلي للبرج وبعرض ثلاثة امتار • ويتحرك المطعم بحركة دائرية حول البرج ويكمل دورته كل ٤٥ دقيقة ، وبذلك يفسح مجالا ممتازا للزبائن الذين يتناولون طعامهم ان يتطلعوا الى مدينة موسكو والمناظر الخلابة حول البرج خلال ساعة واحدة من مقعدهم في المطعم • وهذا المطعم يقع على ارتفاع ٣٣٧ مترا من الارض لقد بلغت الكلفة الكلية للبرج ثلاثين مليونا من الروبلات السوفيتية ، وان القسم الاعظم من هذا المبلغ صرف على التجهيزات الفنية بما فيها محطات اللاسلكي بعيدة المدى ، ومحطات البث الاذاعي والتلفزيوني والاتصال بالاقمار الاصطناعية ومركبات الفضاء • وتبلغ كلفة ادامة البرج السنوية مليوني روبل (الروبل ٤٠٠ فلسا عراقيا) •

وتستوفي ادارة البرج روبلا ونصف الروبل كأجرة دخولية عن كل شخص أما كلفة وجبة الطعام في المطعم فهي ثمانية روبلات عن كل شخص •

ولكي تتصور حجم المعدات الفنية في البرج نقول ان محطات الراديو والتلفزيون ومحلات العمل تشغل أربعة واربعين طابقا من البرج ، أي حوالي ٧٠ ألف متر مكعب داخل اسطوانة البرج بينما معدات الارسال الراديوية والمعدات التلفزيونية تشغل سبعة عشر طابقا اخرى •

وباستطاعة البرج استلام البث التلفزيوني من ثماني محطات تلفزيونية متنقلة في آن واحد ، ويسمح للاتصال التلفوني من داخل أية سيارة متحركة ضمن دائرة قطرها ٨٠ كيلو متر ومركزها البرج •

ان جميع تجهيزات البرج والآلات الفنية فيه من صنع سوفيتي ما عدا مصعده الواسع السريع فهو من صنع المانيا الغربية ، وتبلغ سرعته سواء في الصعود أو النزول ٧ أمتار في الثانية •

وقد ثبتت هذه التجهيزات على ارتفاعات مختلفة من البرج تتراوح بين ارتفاع ٨٥ مترا حتى ارتفاع ٥٠٣ أمتار • وأهمها المراصد التي تقوم بالبحوث والدراسات العلمية لطبقات الجو والفضاء وامور الانواء الجوية •

جامعة موسكو

في الجزء الغربي من مدينة موسكو وفي بقعة جميلة مرتفعة نسبيا يسمونها تلال لينين ، باشر السوفيت بناء جامعة مدينة موسكو عام ١٩٤٩ ، وانتهوا من هذا البناء الضخم عام ١٩٥٣ ، وفق الطراز الستاليني الذي بنيت على طرازه أيضا سبع بنايات ضخمة اخرى في مدينة موسكو ، واهمها فندق اوكراينا • ووزارة الخارجية السوفيتية ، والعمارة التي يسكنها منتسبو الخطوط الجوية السوفيتية ، واربع بنايات اخرى لاسكان المواطنين • وقد شارك في بناء الجامعة وهذه الابنية الضخمة الاسرى الالمان الذين اسرهم الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية •

وان جامعة موسكو والابنية الاخرى المشار اليها ، من آثار ستالين العظيم التي تجمل العاصمة السوفيتية ، وتحتوي جامعة موسكو على بناية رئيسية تواجه نهر موسكو من بعد كيلو متر ، وفي منتصف جبهة البناية ذات الـ ١٨ طابق ترتفع البنايه بشكل هندسي مثلث حتى ٣٥ طابقا ، فيكون ارتفاعها ٧٨٠ قدما • وهي ولا شك من البنايات العالية في العالم ثم ترتفع مسلة عالية تحمل مشعل الحرية بارتفاع ٢٠٠ قدم اخرى • وما بين البناية الرئيسية ونهر موسكو يمتد ميدان فسيح بعرض ١٥٠ مترا وبطول كيلو متر بشكل حديقة جميلة تشكل أجمل المناظر الخلابة في العالم • وقد زينت الحديقة بتماثيل العلماء الذين بذلوا جهدا كبيرا في خدمة روسيا والاتحاد السوفيتي ، ومن عند نهايتها المشرفة على نهر موسكو يقف السواح والزوار وسكان موسكو للتطلع الى مدينة موسكو ، كما أصبح من الامور التقليدية ان يقف العروسان ومرافقوهما قبل الزواج والزفة في هذا المكان للتطلع الى المدينة الجبارة •

وفي الشتاء وخصوصا أيام الاحاد ، تجرى مسابقات التزحلق على الجليد والطفر العالي من منصة التزحلق العالية ، وهو منظر قل مثيله في العالم أيضا حيث مئات الرياضيين وآلاف المتفرجين وآلاف الاطفال والفتيات والفتيان والشيوخ يسيرون على الثلوج مستخدمين أخشاب التزحلق المسماة (ليجنيا بالكي) .

والجامعة تحتوي على أبنية لكل كلياتها ومعاهدها المتكاملة ، كما تضم محلات الاسكان الداخلي للطلبة . وملاعب الجامعة الكثيرة التي تحتوي على عشرات الساحات لكرة القدم والسلة والطائرة والهوكي وكرة اليد ، وملعب ليلي لكرة القدم خاص بالجامعة ومسابح وجمنيزيمات كثيرة .

يدرس في الجامعة ٣٠ ألف طالب ، ويسكن في قسمها الداخلي ٦ آلاف طالب .

وتحتوي الجامعة على ٣٧ بناية وقاطع اقيمت على أرض مساحتها ٤١٥ هيكتار أي ١٦٦٠ دونما عراقيا . تحتوي على ١٤٨ مرفق بين قاعة ومتحف ومختبر .. الخ ولو قدر للمرء ان يمشي للتطلع الى كافة هذه المرافق لوجب عليه ان يسير ١٤٨ كيلو مترا . ومن ضمن أهم مرافقها نادي الجامعة مع قاعة تحتوي على اماكن جلوس ٨٠٠ شخص وقاعة اجتماع الجامعة التي تستوعب ١٥٠٠ شخص ، وحقل التجارب الحيوانية الذي يغطي ١٠٤٠ هيكتار أي ٤١٦٠ دونما عراقيا (الدونم العراقي ٢٥٠٠ متر بينما الدونم المصري أو السوري ألف متر .) .

البانوراما

تعني كلمة بانوراما المنظر التصويري الشامل • وبانوراما القادسية التي تبنيها الآن قرب أبيض المدائن (الايوان) في المدائن تعني الصورة الشاملة لمعركة القادسية بين العرب والفرس ، عام ٦٣٧ ميلادية ، في ميدان القادسية بين خان الرحبة والحيرة •

وبانوراما واترلو الكائنة في ميدان معركة واترلو في ضواحي بروكسل تعني التصوير الشامل لمعركة واترلو بين نابليون من جهة وبلوخر البروسي وولنغتون البريطاني من جهة ثانية •

وهنا في موسكو عند النهاية الغربية لشارع كوتوزف الواسع ، وبالقرب من قوس النصر وعلى مقربة من البيت الذي كان يسكنه الجنرال ميخائيل كوتوزف قائد الجيش الروسي أيام القيصر الروسي اسكندر الاول عام ١٨١٢، شيد بناء مدور جميل ليضم بانوراما برادينو ، أي المنظر الشامل لمعركة برادينو التي دارت في ميدان برادينو الكائن في مسافة ١١٠ كيلو مترات الى الغرب من موسكو ، والتي دارت رحاها في يوم ٢٦ من شهر آب عام ١٨١٢ حسب التقويم الروسي القديم المصادف ٧ أيلول ١٨١٢ حسب التقويم السوفيتي الحديث •

يصعب جدا ان يفي الوصف بالمرام • وبراعة الفنان الرسام والوانه وتصوراته وخيالاته ودقة النظرة في كل شيء ، تجعلني اقول لك لو دخلت هذه البانوراما لذهبت توا الى عام ١٨١٢ في ميدان برادينو ، ورأيت رأي العين الطبيعة بغاباتها وحقولها ووديانها ، ورأيت جيوش الروس والفرنسيين وعن بعد تراقب نابليون بونابارت الى الغرب وكوتوزوف الى الشرق ، تحيط بهما هيئة اركان حربهما ورأيت صراع الرجال وغارات الفرسان ، وتكاد تسمع قصف المدفعية الذي يلمح اليه بريق نيران المدفعية ودخان القنابل •

لقد رأيت بانوراما واترلو ولكني أوكد ان بانوراما برادينو في موسكو أكثر روعة واحسن تنظيما ، وان كانت أقل أهمية في تأثيرها العسكري على

نابليون ، ويبدو انها مهمة للروس ، ففي هذا المكان تمكن الروس لاول مرة من ايقاف نابليون ، وصدوا هجماته الثماني التي دامت ست عشـرة سـاعة متواصلة ، كان اخطرها هجوم الساعة ١٢ ظهرا عـلى جنـاح الجيش الروسي الايسر عبر واد صغير • وشن الروس هجوما مقابلا أخل بترتيبات نابليـون العسكرية ، أي أكاد أقول انهم سببو جرحا لجيش نابليون ليس الا • اذ ان المعركة دارت يوم ٧ أيلول ووصل نابليون موسكو يوم ١٥ منه قاطعـا ١١٠ كيلومترات • فيكون بعد المعركة قد توقف يوما واحدا أو يومين لاعادة التنظيم وهما ليومان ٨ و٩ أيلول ثم زحف على موسكو فوصلها بعد ستة أيام حيـث احترقت يوم ١٥ أيلول • فيكون قد تقدم بسرعة ٢٠ الى ٢٥ كيلو متر باليوم ، ولم تكن لديه سوى الخيل والعربات والمدفعية المسحوبة بالخيول •

ومع ذلك فقد خلدوا هذا العمل العسكري على انه انتصـار قومي ، رغـم مخالفة ذلك للقيم الماركسية اللينينية ، فهي تحمـل اعتزازا قـوميا وتثير النعـرة القومية الروسية • ومع هذا النصر في صد الامبراطور الفرنسي فانه كان يقف بعد ثمانية أيام من المعركة في نفس مكان كلية القوة الجوية جوار ملعب نادي داينمو في شارع لينينغراد ، لكي يتسلم مفاتيح موسكو ، ولكن أحدا لـم يتقـدم لاعطائه المفاتيح بل احرقوا المدينة لكي لا يستفيد منها عدوهم الفرنسي ! عمل فني جبار يلقن الاجيال الصاعدة لكي تقتدي بامجاد الاجداد • وهي مدرسـة الملايين • فارجو لبانوراما القادسية كل نجاح • فزوروا بانوراما القادسية •

قصور الطلائع

تتناثر في مختلف انحاء مدينة موسكو قصور الطلائع وطلبـــة المدارس ، ويبلغ تعدادها ٣٠ قصرا • وهي مؤسسة غير مدرسية ، انما تعمل الى جانب المدارس ومنظمات الشبيبة (كومسمول) على تربية الاطفال وتطويرهم بالاتجاه الاشتراكي ، والعناية بتربيتهم البدنية والوطنية والخلقية ، وهذه المؤسسة تعني بالاطفال اعتبارا من الصف الاول الابتدائي حتى الصـــف العاشر أي نهايـــة الدراسة الثانويـة •

وتمول هذه القصور من ميزانية مجلس نواب شغيلة مدينة موسكو •

ولكي ندخل أحد القصور ونلم به المامة جيدة ، من المفيد ان نتنـــاول احدها بالشرح والتفصيل • وسأشرح قليلا مشاهداتي لقصر الطلائع المركـزي الذي زرته في تلال لينين •

قصر الطلائع المركزي :

يقع هذا القصر غير بعيد عن ملعب لينين أو قصر الرياضة ، اذ لا يفصل بينهما الا نهر موسكو الجميل • وعلى بقعة جميلة من الارض في تلال لينين ، تتناثر منشآت القصر فهو يحوي على عدة أبنية وساحات وملاعب واماكن اللهـو والادارة والادامة •

وقبل ان ندلج الى منطقة المؤسسات ، يطالعك برج حديدي عال كبـير ، يرتفع بارتفاع ٨٠ مترا وبين البرج والابنية مروج خضراء كللتها الطبيعة بروعة وبهاء وجمال يشبه جمال الأطفال وروحهم النقية •

والمؤسسات الكبيرة ثلاث ، كل عمارة تحتوي على عدة طوابق ، وفي كل طابق اختصاص معين ، فاحداها مثلا تضم في الطابق الارضي ساحات الاستقبال والادارة والاستعلامات ، ثم تصعد الى الطابق الاول الذي يحتوي على اجنحة، منها جناح للرسم وجناح للميكانيك حيث يتعلم الاطفال أو يسطرون مواهبهم في عمل السيارات وصنع الطائرات التي تحلق في الجو ، وهي بشكل نماذج•

وسع الأجهزة اللاسلكية والراديو .. الخ . وجناح للادب والشعر وجناح للهو الاطفال . وهذه تجربة فريدة اذ يضم القصر على عدد هائل من لعب الاطفال ، وبامكان أية أم ان تترك طفلها في هذه القاعة يلعب بأية لعبة يرغب بها وتنصرف هي الى قضاء حاجاتها في المدينة ، وتعود الى الطفل لاستصحابه للبيت بعد حين من الزمن .

بل جرى تطوير ذلك الى امكانية استعارة أية لعبة من القصر الى البيت لكي يلعب بها الاطفال ، وبهذا وفر القصر حصول العوائل على لعب الاطفال الغالية أو كبيرة الحجم ، أو غير المتوفرة أو بالاحرى أصبحت كافة لعب الاطفال وكأنها تبدو ملكا لكل طفل اذ بامكانه استعارتها واللعب بها واعادتها ؟. وهذا ولا شك مفهوم رائع للاشتراكية يجسده المجتمع والدولة للناشئة منذ الصغر .

وفي العمارة طبعا حديقة للحيوانات والنباتات يعني بها الاطفال الذين لهم اهتمامات خاصة بالحيوان والزراعة ، وتضم الحديقة عددا من انواع الطيور والحيوانات غير الخطرة طبعا . لو اردنا ان نقدر حجم البناء لقصر واحد لوجب ان نذكر ان منشآته أكبر من القصر الجمهوري والمجلس الوطني في بغداد مرتين أو أكثر . فمثلا واليك الدليل يحوى قصر الطلائع المركزي على ٤٠٠ قاعة لعمل حلقات الاطفال وثمانين غرفة خاصة وستوديوم ومسبح وقاعة سينما تسع لالف شخص ، وقاعة محاضرات تصلح ان تكون قاعة سينما تسع لـ ٤٠٠ شخص ومسرح لفعاليات الاطفال التمثيلية والفنية .

ويهتم السوفيت بالتدريب العملي منذ الصغر ، فيدربون الاطفال عمليا في الاعمال التي تتجه لها مواهبهم ، وهذا مما يطور ويوسع مدارك الاطفال ويصقل مواهبهم . لذلك فان الاطفال او الطلائع يعملون في حلقات واقسام

مختلفة متنوعة في هذا القصر يبلغ عددها ٨٠٠ حلقـــة ، في أكثر مـن ١٤٠ فرعا مختلفا من فروع العلم والفن والادب مثل الطبيعيات والابداع التكنيكـي والرسم والنحت والتصوير والشعر والموسيقى المتنوعة الآلات والرياضة البدنية، ويبلغ عدد الاطفال الذين يعملون في مختلف هذه الفعاليات ١٤ الف طفل ، ومن الرائع المطمئن على تطور النهضة الاشتراكية ان تجد ٢٠٠٠ طفل فـي هذا القصر يعملون في حلقات الابداع التكنيكي والالمام بالعلم والتكنيك ومبادىء الانتاج العصري الامر الذي يدفع الاطفال الى المساهمة في تصميـــم نمــاذج موديلات السفن والطائـرات والسيارات والمكائن والآلات الميكانيكية الاخرى •

ويدرس في هذا القصر ١١٠٠ تلميذ في ٥٦ حلقة بايولوجية ، اذ يجرى توفير محلات الزراعة الشتوية والمختبرات وحديقة الحيوانات الحية والحيوانات المحنطة ، كما ينظم القصر صيفا جولات لطلائع القصر في غـابـات الاتحــاد السوفيتي كجزء من دراسة عملية لحالة الغابات وزراعتها والعناية بها واقتصادها.

ويعير المشرفون على القصر اهتماما خاصا لطلاب الصفوف العليا وتطـوير عملهم وحلقاتهم التي انتجت ابداعا كثيرا في العلم والتكنيك كالكيمياء والبايولوجية وعلم الوراثة وبايولوجية الفضاء ومعدات الآلات الحاسبة الالكترونية وغيرها ، وقدموا أفكارا ساعدت الباحثين الاختصاصيين على تطوير مخترعاتهم كما جذبت انتباههم في أحيان اخرى نحو مخترعات جديدة • ولذلك تجد لهذا القصـــر علاقة كبيرة مع ١٢٠ دائرة من دوائر البحث العلمي والمجمعات الانتاجيـــة في مدينة موسكو ، ومن ضمنها جامعة موسكو ومعمل سيارات الكومسمول اللينيني (معمل سيارات موسكوفيج) ومعهد باخ للكيمياء ، ومعهد شتيرنبرغ للعلوم الفلكية والمعاهد الاخرى •

ونظرا للنجاحات التي حققها السوفيات في علم الفضاء ، وارســـالهم اول انسان الى الفضاء وهو رائد الفضاء يوري كاكارين فان علـم الفلك والفضـــاء

يحظى بشهرة كبيرة لدى الاطفال بل ينظرون اليه نظرة حب واجلال واكبار أو بالاحرى فان هذا الاتجاه يسحرهم • ويشغل رائد الفضاء أ • نيكولايف منصب الرئيس الفخري لنادي كاكارين لرواد الفضاء الفتيان في القصر • كما يزور القصر رواد الفضاء السوفيت وينظمون للاطفال برامج خاصـــة تعـرض احيانا في التلفزيون ودور السينما •

تقوم الهيئة التدريسية في القصر بتقديم الاستشارات والدراسات والخبرات والتوجيهات الى الهيئات الخاصة بتربية الاطفال في الاتحـــاد السوفيتي ، والى المؤسسـات والهيئات التي تمارس أعمالا لها علاقة بنشاط الاطفال •

وفي القصر قسم مهم وكبير يعني بالتربية الفنية ، ففي النحت والرســم والتصوير الفني والفن المسرحي والسينمائي وفن الالقاء والخطابة يمارس أكثر من ٢٧٠٠ طفل ذلك بصورة مستمرة •

ويوجد في القصر مسرح درامي ومسرح الدمى ، وهما يحظيان بنجاح كبير في حفلات الطلائع لزملائهم الاطفال كما يجرى تصوير افلام سينمائية عن حياة الاطفـال •

ولعل أكبر حلقة في القصر هي حلقة لوكتيف للرقص والغناء ، حيث يشترك فيها ١٣٠٠ طفل ، وتقدم الفرقة نشاطاتها وعروضها الفنية في المعامـل امام تلاميذ المدارس وذويهم كما تقوم بجولات في انحاء الاتحاد الســـوفيتي لتقديم النشاطات الفنية •

وفي الرياضة يمارس باستمرار ٣٥٠٠ طفل نشاطهم • وفي القصر ساحة لالعاب الساحة والميدان مجهزة بالانارة الليلية ومسبح وقد حقق العديد مـــن الطلائع نتائج رياضية عالية اذ منهم ابطال الاتحاد السوفيتي واعضاء المنتخبـات الرياضية السوفيتية • كما هيأ القصر أكثر من ١٠٠ ماستر ومرشح ماســتر في الرياضة وحوالي ٦٠٠٠ رياضي من الدرجة الاولى والثانية والثالثة •

يعتبر القصر ناديا للاطفال وأبوابه مفتوحة لكافة الاطفال ، وكل طفل بامكانه الانتماء لهذا النادي دون أية صعوبة • ويؤم القصر يوميا ٥ آلاف طفل للراحة والالعاب المسلية وممارسة الفعاليات الرياضية والفنية ، كما تقوم ادارة القصر بتقديم فعاليات ومناهج فعاليات للاطفال ، وتجري الحفلات العامة لهم في المناسبات والاعياد • كما تقيم المسابقات في مختلف نشاطات القصر حتى أصبحت حملات القصر الفنية في المهرجانات من الامور التقليدية ويشترك فيها شهريا أكثر من ١٠٠ ألف طفل من مختلف الاعمار • ويعمل في القصر ٣٠٠ مربي ومربية من حملة شهادات الاختصاص بتربية الاطفال خارج المدرسة • ويتم عمل هؤلاء بمراقبة نشاطات وسلوك كل طفل داخل القصر خلال عمله اليومي في الحلقات ويرفع تقارير عنه ثم تدرس هذه التقارير لجنة خاصة لتحليل نفسية الطفل ومواهبه واتجاهاته ومن ثم ترفع توصيات عن كل طفل الى مدرسته وأهله •

تبلغ المجموعة الادارية الدائمة للقصر خمسمائة موظف ومستخدم لادارة أعماله الفنية والادارية وساحاته وملاعبه وحدائقه •

هذا القصر قلدته رئاسة هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في شباط ١٩٧١ وسام الراية الحمراء تقديرا منها للدور الخطير الذي يلعبه في البناء الاشتراكي•

قصر الكرملين

في القلب من مدينة موسكو ، وعلى ضفة نهر موسكو اليسرى وعلى فسحة من الارض مشرفة على ما يجاورها بارتفاع قليل ، يقع ما اطلق عليه قصر الكرملين ، وهو بالاحرى يحتوي على العديد من القصور والكنائس • فهـذا البناء التاريخي الضخم الذي ظل عبر القرون يحفظ أو يسجل أسفار التاريخ الروسي أو كان ميدانا لصنع أحداث التاريخ أحيانا • يضم الان مجلس السوفيت الاعلى ومجلس الوزراء السوفيتي ، وقاعة المؤتمرات الكبرى لمؤتمرات الحزب الشيوعي السوفيتي ، ومؤتمرات السلام ومؤتمرات العمال والاغراض الاحتفالية الكبيرة • كما يضم العديد من الكنائس والخزائن التي حولت الى متاحف للفن أو للآثار أو لازياء القياصرة •

هذا البناء الواسع الاحمر في بعض أقسامه القديمة جدا ، والاصفر في أقسامه المتأخرة زمنيا ، كان مقرا لافبح أنواع الارستقراطية في العالم ومثلت على ساحاته ابشع الجرائم الانسانية والمباذل التي ارتكبتها العائلة القيصرية في روسيا ، عاد الان مقرا لحكم الطبقة العاملة ورائدا للاشتراكية ! فيا لها من من مفارقة عجيبة •

لقد بني الكرملين الامير الروسي يوري دولكاروكي عام ١١٤٧م عندما بنى مدينة موسكو ، وفي العام ١١٥٦ م أحيط القصر والمدينة بسور عظيم لكي يحفظها من عاديات الدهور وصروف الزمان وغزوات الاقوام المجاورة أو الامراء المتربصين بها • وفعلا ان كلمة كرملين تعني باللغة الروسية (المدينة المحصنة بسور) •

ولم تكن تلك الطريقة بدعة ابتدعها الروس أو ان تصرفهم هذا دل على خوف • فهذه الطريقة كانت متبعة منذ القدم ، فمدينة بابل العظيمة كان يحيطها سوران كبيران يبلغ طول السور الخارجي ١٨ كيلومترا ، وان كان

هيرودوتس المؤرخ اليوناني قد ذكر ان طوله ٨٦ كيلومترا • والثاني بطول ٨½ كيلومتر • وكانت العربات الحربية تسير على أعلى السور البابلي أي هو عرض اقرب من أربعة أمتار وبارتفاع أربعة عشر مترا • وعندما اجتاحت موجات الغزو المغولي ـ التتري موسكو بقيادة باتوخان بن جنكيزخان عام ١٢٣٨م أصاب الكرملين من الدمار ما أصاب المدينة نفسها • وفي عهد القيصر (ايفن كاليتا) أو ايفان (الدوانيقي) أو ايفان البخيل عام ١٣٣٩م جرى توسيع الكرملين وبنى له جدارا خشبيا • وفي القرنين الخامس والسادس عشر صمد الكرملين أمام غزوات التتار والليتوانيين وفي بداية القرن السابع عشر دخله البولونيون مدة عامين •

ثم ادخلت عليه تحسينات مستمرة عبر القرون حتى لاقى الكرملين عام ١٨١٢م أياما سوداء حيث أصبح أمام الامبراطور الفرنساوي نابليون بونابارت وجها لوجه • وكان نابليون طبعا يمني النفس باستسلام موسكو وخضوعها ودخول الكرملين فاتحا ، الا ان سكان المدينة رفضوا السكنى بها والخضوع للغزاة ، فاحرقها قائدهم كوتوزوف ، أو ربما حصل الحريق صدفة اذا لم يثبت تاريخيا من أحرق موسكو وكانت أكبر الحرائق في الايام ١٥ و١٦ و١٧ أيلول ١٨١٢ •

وتحت شعور مرير وملىء بخيبة الامل عاشت الجيوش الفرنسية بالمدينة والكرملين فدمرت معظم اركانه ونفائسه انتقاما من الروس وأشعلت المزيد من النيران عند شروعها بالانسحاب غربا من المدينة الابية •

فاعاد الروس بناء موسكو والكرملين • وفي عام ١٩١٧ عندما اقتحمت طلائع الثوار البلاشفة في موسكو بوابة نيكولسكي في الكرملين دار قتال عنيف بين الطلائع الثورية وحامية القيصر تمكن على اثره الثوار من طرد الحامية من الكرملين ثم القضاء عليها • وفي خضم هذا القتال العنيف وما يصحبه طبعا من قصف مدفعي أصابت الكرملين شظايا القنابل فاتت عليه النيران التي احرقت بعض اجزائه •

وفي العام ١٩١٨م وفي شهر آذار دخلته أول حكومة سوفيتية برئاسة فلاديمير لينين •

ويضم الكرملين العديد من الكنائس والمعالم مثل ارخانجيل وكنيسة البشارة (بلاكوفيشنسكي سابور) وكنيسة الدعاء (اوسبينسكي سابور) وقصر الماس (الماززني فوند) ولعل من أبرز المعالم برج الناقوس الكبير الذي بني عام ١٥٠٥م والذي يرتفع الى علو ٢٦٣ قدما ويمكن الصعود اليه عبر سلم بـ ٣٢٩ درجة •

لقد علق في البرج ٢١ ناقوسا بينها الناقوس الكبير الذي يزن ٦٤ طنا • ومن يرقى الى أعلى البرج يمكنه التطلع الى ٢٠ ميلا • أي يمكن رؤية المناطق خارج مدينة موسكو من برج الكرملين هذا • وهي ولا شك كانت أحد أهم نقاط الاستطلاع العسكرية علاوة على أغراضها الدينية في نقل أصوات الكنائس ونواقيسها •

وفي منتصف الكرملين وضع ناقوس القيصر الضخم الذي يزن ٢٠٠ طنا وقد جرى قطع احدى اجزائه لكي يتطلع السائح الى حجم وسمك الناقوس وهو ولا شك أضخم ناقوس على وجه المعمورة •

وعلى مسافة امتار من الناقوس الضخم هذا ينتصب مدفع ضخم ذو عيار ٨٩ سنتيمترا !! طبعا ويرقد جواره عدد من قنابل المدفع ، وهي كتل كروية من الحديد كانت تستخدم لتحطيم الاسوار ودك الحصون • والمدفع غيرصالح اساسا للاطلاق ولكنه نموذج في عمله اندريه جوكوف عام ١٥٨٦ كدليل على عظمة القياصرة وقوة روسيا العسكرية •

والجديد الذي طرأ على الكرملين ، انشاء قاعة المؤتمرات الكبرى التي تسع لستة آلاف شخص ، وتم فيها انعقاد مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفيتي اعتبارا من المؤتمر الثاني والعشرين ، وعلى سطحها الواسع قاعة كبيرة تقام بها الولائم الكبرى التي تسع لالفين وخمسمائة مدعو •

وهناك العديد من المنشآت الاخرى والمرافق في الكرملين التي كانت تضم مخازن السلاح وقصور السكن واماكن اسكان الخدم والمساعدين ومتاحف وخزائن المجوهرات والالماس ، ولا شك ان اكثرها اثارة تلك الشقة التاريخية في الطابق الرابع من بناية مجلس الوزراء الحالي في الكرملين ، والتي سكنها لينين اعتبارا من آذار ١٩١٨ حتى ١٢ كانون الاول عام ١٩٢٢ وهي تحتوي على غرفة المكتبة التي تضم الفي كتاب ومنضدة وكرسي العمل الذي من خلاله كان الرجل يقود الثورة الاشتراكية ، والى جوارها قاعة صغيرة (هـول) يجتمع فيها المكتب السياسي للحزب واربع غرف متوسطة الحجم موثثة للنوم ، احداها له والثانية لزوجته ناديجدا كروبسكايا والثالثة لشقيقته ماريا اليانوفا والرابعة احتياط •

وقد كان لينين يعيش بدون ابناء اذ لم ينجب مطلقا ، ولا شك لو كان له اطفال أو أبناء لزاد حجم الغرف أو عددها • وقد تركت الحكومة اثاث الزعيم الخالد وملحوظاته على الاوراق والخرائط والاقلام التي استعملها كما هي ليطلع المواطنون والسواح على تقشفه واسلوب معيشته ، ومقارنة ذلك بترف وفساد وعبث القياصرة • لذلك تجد في الشقة درسا بليغا يعلم الاجيال باستمرار عظمة النضال وارادة الشعوب وكيفية انحسار الظلم والطغيان أو تطبيق المثل العربي القائل (ان الترف يزيل النعم) •

ان مساحة الكرملين الآن عشرة اضعاف المساحة التي كان عليها عندما بناه الامير دولكا روكي ، ويبلغ طول اسواره الان ٢٥٠٠ يارد وبعرض يتراوح بين ١٢ و٢١ قدما وبارتفاع أقصاه ٦٠ قدما •

كما تسيطر على الاسوار عشرون برجا (وبالمناسبة نذكر ان عدد ابراج أسوار بابل كانت ٣٦٠ برجا على السور الخارجي و١٤٧ برجا على السور الداخلي) • وعلى بوابة سباسكي يرتفع البرج الى ٢٢٠ قدما ليحمل جرسا عظيما وزنه طنان يقرع كل ساعة وكل نصف ساعة وكل ربع ساعة وتنقل رنينه اذاعة موسكو وتضبط توقيتها على ساعة البرج •

وبرج سباسكي والابراج الاربعة الاخرى على البوابات وهي نيكولاسكي وتروينسكي وبورفتسكي وفودافزوفودنايا تحمل النجوم الياقوتية الحمراء بحسب أحداهم معالم موسكو والكرملين ، والتي تضيء ليلا لوجود الضياء الكهربائي داخل كل منها ، والتي تشير الى النجم الاحمر رمز انتصار الثورة البلشفية وقد جرى وضع هذه النجوم عام ١٩٣٧ .

ساعة برج سباسكي بالكرملين :

تعتبر من أضخم الساعات في الاتحاد السوفيتي ، ويقدر حجمها بحجم بناية ذات ثلاثة طوابق وأهم اجزائها هو الجزء الميكانيكي الذي تقاس أطوال اجزائه بالامتار ، ووزن كل جزء منها يقاس بعشرات الكيلوات . ويبلغ قطر دائرة الساعة ٦ أمتار . ترتبط الساعة باسلاك بمكان الادارة المشرف عليها في الكرملين كما ترتبط باسلاك تحت الارض بساعات المعهد الفلكي للاتحاد السوفيتي .

في داخل الكرملين يوجد معمل تصليح (ورشة) فيها نماذج مصغرة لساعات البرج ، وترتبط هذه النماذج الصغيرة باسلاك بالمعهد الفلكي للاتحاد السوفيتي ، كما ترتبط ربطا مباشرا بالساعة الاصلية في البرج . وفي حالة عطل الساعة الكبيرة الاصلية تنطلق صفارة خاصة داخل النموذج ، اضافة لوجود ميكروفلم ذي حساسية عالية ينقل دقات الساعة من البرج الى معمل التصليح . وفي حالة عدم انتباه الفنيين المختصين للاخطاء التي تحصل فان جهازا طوعيا (اوتوماتيكيا) يقوم بعملية تصليح الخطأ ؟!! وقد وضع خصيصا لهذا الغرض . لهذا تعتبر ساعات الكرملين من أدق الساعات الموجودة في الاتحاد السوفيتي والعالم .

الســاحة الحمراء

يعود العهد بالساحة الحمراء الى القرن الخامس عشر عندما كانت سوقا عاما لتصريف البضائع • ثم أصبحت في القرن السادس عشر مكانا للاحتفالات والمرح وكانت تسمى (لوبنايا ميستا) •

أما اسمها الجديد ، الساحة الحمراء ، فقد اطلق عليها عام ١٩١٧ بعد الثـورة •

وكلمة الحمراء لا تعني بالضرورة اللون الاحمر • صحيح ان جدار الكرملين الذي يحدها غربا والابنية المجاورة لها شمالا وشرقا مبنية بالقرميد الاحمر والطابوق الاحمر الا ان كلمة حمراء تعني مفهوما باللغة السلافية القديمة يعني الجمال أو الجميلة •

فهم يحبون الورود الحمراء واللون الاحمر هو لون الحب لذلك يقارب اسم الساحة الحمراء معنى الساحة الجميلة •

هذه الساحة مساحتها ٧٤٨٣١ مترا مربعا بطول حوالي ٥٠٠ متر وعرض ١٥٠ متر • ولا أحسب ان هناك ساحة في العالم تضاهي هـذا المكان المثير بمؤشراته التاريخية ، والمحيط بجوانب العظمة والمجد والجميل بتنسيقه وبما ابدعه الانسان من فن العمارة والبناء • فهي ساحة واسعة جدا ، وهي ساحة يرقد فيها جثمان لينين المحنط ، وهي ساحة تجاور الكرملين ربما أقدم قصور الدنيا التاريخية المستمر بنشاطه وفعالياته خلافا للقصور الاخرى القديمة التي أصبحت آثارا أو متاحفا •

وهي ساحة ضمت أجمل كنائس الدنيا وهي كنيسة القديسة باسيل المباركة (باسيلي بلا ناثنا) • وهي الســاحة التي تجرى فيهـا أروع احتفـالات واستعراضات الشعوب السوفيتية في احتفالات اكتوبر وكذلـك اسـتعراضات القوات المسلحة السوفيتية •

على جدار الكرملين الخارجي المحيط بالساحة يجرى دفن أبطال الاتحاد السوفيتي في الجدار بنسق واحد ومفاصلات نظامية • وطبعا لا يجرى دفن الجثة انما بقايا رمادها الذي يوضع في قنينة صغيرة • ثم تختم فتحة الجدار بقطعة نحاسية يكتب عليها اسم البطل •

وهي ساحة فيها الى الخلف من مرقد لينين توجد انصبة رؤساء الاتحاد السوفيتي حسب تسلسلهم التاريخي ، ولذلك هي الساحة الوحيدة في العالم التي تحمل تمثالا ورأس ستالين بعد ان هاجمته الخروشوفية ، وقضت على كل ما كان له من دعاية ومهابة واعلان ، سواء منها التصاوير والملصقات الجدارية أو التماثيل أو ذكر الاسم في الكتب المدرسية والاناشيد ! •

كنيسة القديسة باسيل (باسيلي بلاشانفا) :

روعة في فن العمارة ، وآية في الجمال وحسن تنسيق الالوان ، رفعت أبراجها بارتفاع واحد ، أربعة صغيرة وبارتفاع أعلى أربعة أبراج كبار ، والثمانية تحيط ببرجها الكبير الذي يرتفع الى ١٠٧ أقدام • وهي تمثل الفن المعماري الروسي في بناء المعابد ، ويقترب هذا الفن من فن العمارة الاسلامي حيث تكون الابراج على هيئة قباب المساجد ولكن بشكل اصغر •

لقد تم بناء الكنيسة في ست سنوات ابتدأت عام ١٥٥٥ وانتهى البناء عام ١٥٦٠ في عهد ايفان الرهيب ، وقدمها هدية بمناسبة احتلال قازان ودحر التار ، والقضاء نهائيا على احتمالات تهديدهم موسكو بالغزو ، طبعا حولت الكنيسة بعد الثورة الى متحف يؤمه عدد كبير جدا من الزوار الروس والسواح السوفيت والاجانب •

وللكنيسة هذه وبانيها ايفان الرهيب والمعماران اللذان بنياها قصة مؤلمة مؤثرة تشبه قصة ملك الحيرة العربي النعمان بن امرىء القيس في غدره بالمعمار سنمار الذي بنى له قصر الخورنق • اذ ما ان اتم سنمار البناء حتى قذف به النعمان من أعلى القصر فقتله لكي لا يبني شبيها له • فقيل (جزاء سنمار) •

واذا قابل انسان الاحسان والحسنة بسيئة فيقال (فلان جوزي جزاء سنمار) فما ان اتم المعمار ان الروسيان بوستنيك وبارما بناء الكنيسة حتى أمر القيصر ايفان الثالث أو المسمى ايفان الرهيب بقلع عيني المسكين بالشيش المحمي لكي لا يبنيا مثلا لها لملك اخر • وتلك مأساة تجسد المظالم التي عاناها الروس والأقوام الاخرى من حكم وتسلط القياصرة الطغاة • بل هي مأساة الحضارة اذ هي جريمة تقتل المبادرة والنبوغ وتمنع التطلع نحو الاختراع وفتح آفاق حضارية ، او تمنع التفكير في خدمة الدولة والمجتمع اصلا • علاوة على ما في هذه الفعلة الشنيعة من اشاعة روح الشر والاساءة وعدم احترام الحسنة والفن والجمال • شر مستطير ان تقابل الحسنة بالسيئة وان ترد الجميل بجحود واساءة كبيرة !! •

المنصة المدورة :

وامام كنيسة القديسة باسيل • منصة واسعة تقع بقطر ١٠ أمتار وترتفع متران عن الارض ، يرقى اليها الصاعد على درجات سلم رخامي • والمنصة هذه مسورة بجدار ارتفاعه متر ونصف المتر ، وقد تم بناءها عام ١٥٣٤ وكان القياصرة يقفون فيها لالقاء خطبهم في الناس أو تقرأ أوامرهم المهمة من هذه المنصة أو الدكة العالية •

ومفهوم للناس ان هذه المنصة كانت محلا لتنفيذ حكم الاعدام بسيف يقطع بواسطته الجلاد رقاب المحكومين بهذا الحكم •

مرقد لينين :

وفي منتصف القسم الغربي من الساحة الحمراء ، والى جوار جدار الكرملين يتراءى لك بوقار هيكل من الجرانيت البني ، يتقدم نحوه الناس بصمت هو ولا شك خشوع واحترام ، اذ يمتنعون عن الحديث أو على الاقل الحديث بصوت عال ، كما يمتنعون عن الضحك والابتسام والمرح ، ذلك لانهم اقتربوا من المكان الذي يرقد فيه مؤسس الاتحاد السوفيتي ومنظم الحزب الشيوعي السوفيتي فلاديمير اليتش لينين •

وترى أمام الباب الكبير للهيكل جنديين من الشباب يقفان وجها لوجه تفصل بينهما أربعة أمتار . يقفان وقفة عسكرية لا تشابهها الا وقفة حرس قصر بكنهام في لندن ، فلا يحركان شيئا وربما يثيران حتى اعجاب العسكريين بصبرهما وحسن تدريبهما فلا تكاد ترمش لهما عينان .

ويجتمع المواطنون والسواح في نهاية كل ساعة ليشاهدوا عملية تبديل الحرس الرشيقة والدقيقة . اذ يخرج في نهاية كل ساعة من برج الناقوس الكبير جنديان ، يقودهما آمر للحرس ويتقدمان نحو المرقد لتبديل الجنديين السابقين ، وما ان يصل الجدد الى جوار القدامى حتى تدق ساعة البرج معلنة نهاية الساعة ، فتبدأ عملية تبديل الحرس بحركات عسكرية رشيقة ، فيعود الحراس القدامى من حيث اتى الحراس الجدد .

تدخل المرقد الذي يحتوي على غرفة تحت مستوى الارض حوالي ثلاثة أمتار نازلا سلما من الشمال ، ثم تمر على التابوت الزجاجي الذي يحوى جثمان لينين المحنط ، مرتديا ملابسه السوداء حاسر الرأس ، فترى جسمه كاملا ووجهه ويداه كأنهما حيتان وكأن الرجل نائم . ذاك هو لينين بلحمه ودمه . رأسه متجه نحو الغرب أي نحو جدار الكرملين ورجلاه ممتدتان باتجاه الشرق.

ثم تخرج من اليمين وتلف حول المرقد الى الشرق ، فتكون امامك مقابر العظماء الذين دفنوا في جدار الكرملين ، أو دفنت بقايا رماد اجسادهم في حفرة صغيرة واغلقت برقعة نحاسية عليها هوية البطل .

وفي أيام الآحاد يزداد عدد الزوار لضريح لينين ، فتلك فرصة تغتنمها المدارس والمعاهد لتنظيم الزيارة ، كما ان عدد السواح المتزايد قد جعل خط الانتظار والناس وقوف بصفين عدة كيلومترات احيانا ، ولطول الصف فانه يلتوى ويخرج من الساحة الحمراء ملتفا حول الكرملين والشوارع والفسح المحيطة به وتبدو أهمية ذلك اذا تصورت ان الناس يمرون على قائدهم ومحررهم بعد انتظار قد يطول ساعات وهم تحت درجة من الحرارة قد تبلغ ثلاثين درجة تحت الصفر !! . وقد جربت ان اعد عدد المارين في نقطة حسب الحسابات

العسكرية ، فوجدت ان سرعة الدخول الى المرقد هي ثلاثة دقائق لكل مائة متر • أي كيلو مترين بالساعة وتلك أقصى سرعة كانت ، واحيانا كثيرة تكون السرعة كيلو متر واحد بالساعة ، فتصور طول انتظارهم في البرد القارص اذا كان رتل الانتظار عدة كيلو مترات !! •

معرض المنجزات الاقتصادية السوفيتية

في الجزء الشمالي من مدينة موسكو وعلى بقعة كانت تحاط باجمل الحدائق والغابات في المنطقة بين فدنجا واستانكنا أي جوار برج التلفزيون الهائل أقام السوفيت معرضا دائما سمي بمعرض المنجزات الاقتصادية السوفيتية •

يبلغ المعرض من السعة ما يجعل الاحاطة بكل ما فيه تستغرق أياما اذا كان المستطلع يروم الدقة وحسن الاطلاع • أما اذا كان السائح يتوخى العجالة فلن تقل المدة عن يوم كامل • فهو يحتوي على ٧٠ بناية كل واحدة تضم معروضات تختص بجانب معين • فواحدة مثلا تحتوي على عدة قاعات توضح النشاط البترولي في الاتحاد السوفيتي ، فبامكانك ان ترى مناطق آبار البترول القديمة والآبار الحديثة الداخلة في الخطة الخمسية الحالية ، وامتداد انابيب البترول واماكن التصفية وكذلك ما يتعلق بمكامن الغاز وامتدادات انابيبه كل ذلك على لوحة وضعت عليها خريطة المناطق ومؤشرة كهربائيا ، بشكل هو أحسن ماتكون عليه وسائل الايضاح • ومثل هذا في الصناعة ومختلف فروعها ومختلف جوانب الامور الاقتصادية والفنية والعلمية • وقد تجد للجانب الزراعي العديد من القاعات الكبيرة التي ضمت العديد من حيوانات الاتحاد السوفيتي ، ويمكن ان يقال ان الثروة الحيوانية في المعرض ليس لها ما يشابهها اطلاقا في أي من معارض الدنيا الاخرى بشكلها الدائم •

للخيول اسطبلات يعرض فيها انواع الخيول السوفيتية وبالمناسبة فان المعرض يعرض القدرات الاقتصادية للجمهوريات الاتحادية الخمس عشرة •

فترى الحصان الذي يعيش في المناطق التي تقترب من أقصى الشمال وحصان آسيا الوسطى والحصان نصف العربي والحصان الروسي الاوربي •• الخ •

وترى أنواعا منوعة من أجناس الابقار الممتازة التي ضربت رقما قياسيا في انتاج الحليب تجاوز الخمسة آلاف لتر في العام •

وترى انواع الاغنام الممتازة منها الغيسار الـذي بلـغ وزن الكبش ١٩٦ كيلو غرام ووزن الانثى ١٥٦ كيلو غرام ، والرومانوف سكايا حيث تلد الانثى ثلاثة طليان في كل مرة ، واحيانا خمسة ، وتلد أحيانا في العام مرتين ، وربما سيكون لهذا النوع شأن كبير في حل أزمة اللحوم • هذا النوع يزن الواحد منه ٢٥ الى ٣٥ كيلو غرام ويعيش في المناطق التي يجب ان لا تتجاوزدرجة الحرارة فيها ٣٠ فوق الصفر •

ويهتم الاتحاد السـوفيتي ودوائر الزراعة فيـه بتكثير وتربية الغيـسار والرومانوفسكايا بعد دراسات وتجارب علمية نظـرا لفائدة هذيـن النوعـين في المساعدة على حل ازمة الغذاء في المستقبل •

ولعل أروع ما في المعرض ذلك الجزء المخصص لابراز جوانب التقـدم العلمي الذي انجزه الاتحاد السوفيتي في مجال الفضاء • وليس هناك على وجه البسيطة عدا السوفيت من يمكنه انيفخر بانجازات فضائية أو ان له السبق في هذا المجال فهم الذين ارسلوا أول قمر دار حول الارض وهم الذين ارسـلوا يفخر أول انسان (يوري كاكارين) دار حول الارض •

وقسم الفضاء يقع في بناية بها قاعة كبيرة يبلغ طولها حوالـي مائة متر وعرضها ١٥ مترا • رصفت على جوانبها أو علقت الاقمار الاصطناعية المختلفة ، فمنها الاقمار التي ارسلت من أجل تسهيل المواصلات اللاسلكية ، ومنها الاقمار التي تبحث في علم الانواء الجوية ، ومنها الاقمار الاستكشافية الاستطلاعية التي تحمل المصورات العديدة •

وفي هذا المعرض ترى أول قمر اطلقه الانسان الى الفضاء •

وترى أول قمر حمل حيوانا وكانت فيه الكلبة (لايكا) • وبامكانك ان ترى نموذجا وهو نسخة طبق الاصل من (لايكا) داخل القمر •

وترى المركبة التي صعد بها كاكارين الى الفضاء ، وترى المركبات العائدة من الفضاء وقد احترق غلافها الخارجي نتيجة للحرارة العالية عند دخول المركبة الغشاء الهوائي المحيط بالكرة الارضية ، واحتكاكها الهائل السريع به تراهـا وكأنها مركبة صنعت منذ مئات السنين ، وقد تأثرت بفعل عوامل الزمن والرطوبة فترك الزنجار (الاوكسيد) عليها اثرا مبينا • هذا وترى في مدخل القسم وبداخله العديد من الصواريخ الجبارة ذات المراجـل التي حملت المركبـات الفضائية والأقمار الاصطناعية •

ليس المعرض للتطلع الى جوانب علمية فقط ، وانما بامتداده على هـذه المساحات الواسعة ، وحسن تنظيمه والذوق العالي في التنسيق وزراعة الزهور والحدائق ، وتناثر أماكن الراحة أو تناول المرطبات قد أصبح مـن أجمـل الحدائق العامة واماكن الراحة والفسحة ، وربما لن تنازعه في مدينة اخرى من مدن العالم الا بعدد محدود ، ولعل أهم ما يجلب الانتباه في هذا المعرض الدائم والذي هو ضمن متناول وتطلع أي مواطن سوفيتي ، انه أصبح وكأنه ملـك لكل مواطن بكل ما فيه فمركبة الفضاء مركبته ، ولكنها موضوعة في مكـان ما في المعرض ، وأي حصان جميل هو حصانه ولكن له اسطبل في المعرض ، وهكذا اذ بامكانه الدخول اليه والتجوال فيه متى شاء والى أي مدة ينتوى •

كما انه اثار اعتزازا وفخرا في نفس المواطن السوفيتي ، بل اصبح هـذا الفخر والاعتزاز دافعا نحو المثابرة من أجل المزيد من الانجازات والمزيد مـن الروائع العلمية والاقتصادية • ولا شـك ان المفهوم الاشـتراكي للمعـرض كمعرض منجزات ومعرض دائم للجميع وبهجة وفسحة وحافز للجميع ، قـد نجح نجاحا تاما وعزز الايمان بالاشتراكية •

نصب الفضاء

وبالقرب من مدخل معرض المنجزات الاقتصادية السوفيتية وعند النهاية الشمالية لشارع السلام (بروسبيكت ميرة) اقيم عام ١٩٦٤ نصب هائل يمثل صاروخا ينطلق في الفضاء ، ويترك آثارا ضخمة من الدخان • وهذا الدخان المتخلف من ذيل الصاروخ ، جعله الفنان مصمم النصب من القصدير استند على الارض ليحمل الصاروخ ، لذلك ترى مثلثا ملتويا قاعدته تستند على صرح ضخم من الجرانيت ويرتفع عاليا في الفضاء ، وكلما ارتفع كلما دقت اعاليه حتى ينتهي بصاروخ يم شطر السماء • وهو بارتفاع ٣١٢ قدما •

وامام النصب اقيم تمثال ضخم لعالم وقور جلس على كرسي الاستاذية ، هو ابو علم الفضاء السوفيتي كونستانتين تسيولكوفسكي تخليدا لذكراه وتخليدا لجميع اولئك الذين بذلوا او درسوا او بحثوا في هذا العلم الهام •

وباتجاه الجنوب وعلى مسافة اربعمائة متر وعند مدخل منطقة النصب اقيم تمثال صخري للعالم الكبير سيرجي كوروليوف مصمم أول صاروخ فضائي ، ثم تأتي تماثيل برونزية لرواد الفضاء تبدأ بأولهم وهو يوري كاكارين اول رائد فضاء في العالم ، ثم فالنتينا تيرشكوفا أول امرأة فضائية والتي كان لنا شرف التعرف عليها واللقاء بها مرارا وصديقة للعرب والعراقيين وهي الان رئيسة الاتحاد النسائي السوفيتي • ثم بافل بلاييف والكساندر ليونوف أول رجل مشى في الفضاء ، وفلاديمير كوماروف الذي مات في الفضاء وما خانته شجاعته لحظة واحدة طيلة حياته وطيلة عمله في الفضاء •

هذا النصب الضخم مثار اعتزاز السوفيت جميعا ، اذ انه رمز لتقدمهم العلمي ورمز للشجاعة الخارقة ورمز لتكريم الابطال والمخلصين العاملين من ابناء الوطن •

وتحيط بالنصب مساحة واسعة تصل الى بعد كيلو متر واربعمائة متر عن شارع السلام (بروسيكت ميرة) ، وكيلو متر عن مدخل معرض المنجزات الاقتصادية السوفيتية ، وخلفه حوالي كيلو متر من الارض غير المبنية • كل هذه المساحات شكلت منتزها جميلا حسن التنظيم والتنسيق ، وقد امتدت اليد يد الانسان بالعناية والتنظيم ، فبرز وكأنها جنة وارفة الظلال كثيرة الخمائل بما حوته من أشجار متنوعة ولكن متناسقة ، وبما غطت به الارض بالاخضر الزاهي من الحشائش التي تخللتها اوراد طبيعية واخرى في اماكن خاصة من عمل المهندسين الزراعيين •

الرياضة والملاعب والساحات

يهتم السوفيت اهتماما غير اعتيادي بالرياضة وملاعبها وساحاتها ، سواء كان ذلك في موسم الشتاء أو المواسم الاخرى • وهذا الاهتمام الواسع تجد دوافعه تكمن في النظرية الاشتراكية التي حللت كل شيء علميا ، والتي اهتمت بالانتاج وزيادته ، واهتمت بالشعب وزيادة حيويته وطاقاته وجدت ان التطبيق الصحيح لذلك لا يمكن الا اذا كان (العقل السليم في الجسم السليم) كما يقول مثلنا العربي ، ومن هنا لا بد من بناء الجسم السليم وترويضه واعطائه الحيوية الدافعة المستمرة •

ولكي يبعد النظام الاشتراكي المواطنين عن سفاسف الحياة ومباذلها او يجنبهم الخمول والكسل ، أو حتى يجنبهم الانغمار في الترف والملذات والمصروفات غير المفيدة في المقاهي والبارات أو غيرها ، عمد الى تهيأة الملاعب وساحات الالعاب المختلفة بشكل مذهل • وطبعا في مدينة موسكو عشرات الملاعب الكبيرة للنوادي الكبيرة كداينمو وسبارتاك وسيسكا •• الخ •

وسأكتفي بان أشرح باختصار بعض ما شاهدناه في ملعب لينين في مدينة موسكو •

ملعب لينين او قصر الرياضة :

في بقعة الى الغرب من مدينة موسكو ، وعند عطفة نهر موسكو امام جامعة موسكو ، وجوار مقبرة العظماء حيث يقع دير نوفي ديفجي ، في أجمل بقاع عاصمة الاتحاد السوفيتي ، اقيم قصر الرياضة والذي يسمى ايضا ملعب لينين ، الذي هو في الحقيقة مدينة رياضية متكاملة اقيمت على ارض مساحتها ٣٣٠ هكتار أي أكثر من ١٣٠٠ دونم عراقي أي ٣٣٠٠ دونم مصري أو سوري •

تحتوي المدينة الرياضية على أكثر من ١٣٠ بناية أو ساحة أو مضمار أو حوض أو مدرج للرياضة الصيفية أو الشتوية ، واعظمها حجما ملعب لينين الرئيس المدور الذي يحتوي على ١٥٠ ألف مقعد للمتفرجين ، وهو مع مدينة الالعاب ، يشكل منشأة رياضية في اوربا اطلاقا .

وتحت المدرجات هناك ٩٠٠ غرفة أو صالة أو حمام ، تضم الحمامات والدوشات وغرف نزع الملابس وصالات التفسح والمطاعم ومحلات المشروبات ومراكز الطبابة واماكن الجمناستك والتدليك وما شابه ذلك .

وفي مدينة الالعاب هذه يوجد الجمنيزيوم الكبير الذي يحتوي على ١٧ ألف مقعد للمتفرجين . وهذا الجمنيزيوم المغلق طبعا قد شاهد من الفعاليات الرياضية وبما أكثر مما شاهده أي ملعب اخر في الكرة الارضية فبينما يستخدم الفعاليات الجمنيزم المختلفة يجرى تغطية ارضيته بسهولة بالجليد لتجرى عليه سباقات وفعاليات هوكي الجليد ، وهي لعبة محببة ومشهور في الاتحاد السوفيتي عموما وفي موسكو بصورة خاصة . وكذلك لفعاليات التزحلق على الجليد . كما يستخدم باستمرار وخصوصا خلال فصل الشتاء لسباقات وفعاليات الرقص الفردي الرجالي والفردي النسائي والمزدوج على الجليد . ومن هذا الملعب ينقل التلفزيون الروسي الملون والاعتيادي هذه الفعاليات المحببة للسوفيت الى عشرات الملايين من البيوت والعوائل .

وفي مدينة الرياضة هذه يوجد حوض السباحة الكبير الذي يحتوي على أكثر من ١٣ ألف مقعد للمتفرجين وهي رياضة تمارس طبعا صيفا ، هذا وتتناثر عشرات الملاعب والساحات لفعاليات كرة القدم والسلة والطائرة كما تتخلل هذه الساحات أو تحيط بها المروج الخضراء والحدائق الجميلة المنسقة بازهارها التي رتبت بشكل يبهج الناظرين .

وقد ضم الملعب علاوة على ذلك ساحة واسعة مبلطة بطول ١٥٠ مترو عرض مائة متر لتعليم سياقة السيارات والدراجات البخارية . كما تحيط بالملاعب

ساحات واسعة لوقوف السيارات . ولكي يصل المواطنون بسهولة الى المدينة الرياضية ، فان محطة خاصة لقطارات تحت الارض (المترو) قد فتحت جوار المدينة . وانه لمنظر عجيب ان ترى سيولا من البشر يقذف بها المترو نحو الملعب ، يتحركون بنشاط وخفة ورشاقة عند الدخول والخروج وليس ذلك بمستغرب فهم هواة رياضيون .

وللمدينة الرياضية فوائد كثيرة فهي تستعمل علاوة على الأغراض الرياضية للراحة والاستجمام والتنزه ، اذ ان المدينة هذه تشكل متنزها واسعا من متنزهات موسكو ، كما تخدم الملاعب أكثر من ٢٠ ألفا من المواطنين كبار السن أو الذين يوصيهم الاطباء بممارسة رياضيات معينة ، سواء منها رياضة تقوية المفاصل ، او رياضة تحسين وضع الفقرات ، أو رياضة معينة ضد الروماتيزم ، او رياضة الرشاقة أو ضد السمنة .. الخ . لذلك فهذه المنشآت هي ملاعب وهي متنزهات، وهي في نفس الوقت منتجعات طبية . وحتى للاطفال فهناك اسبوع تقام فيه اكبر شجرة لعيد رأس السنة تزين بالالوان والانوار والنشرات الملونة المختلفة ، يزورها بانتظام مئات الالوف من الاطفال مع آبائهم وامهاتهم في عيد رأس السنة .

وتلك لعمري فكرة رائعة اذ ربط هذا المكان الرياضي صحة الانسان وسلامته بضمير الانسانية وهم الاطفال وبهجتهم . أو كما قال الشاعر العربي :

وانما اطفالنا بيننا   اكبادنا تمشي على الارض

مكتبة لينين

تأسست هذه المكتبة عام ١٨٦٢ وكانت تحمل اسم مكتبة رومانتسوف في العهد القيصري ، وفي شباط عام ١٩٢٥ ابدل اسمها فأصبحت تسمى مكتبة لينين •

وهي من أهم المؤسسات التي تقدم خدمات ثقافية ليس لها حدود ، بل هي مركز ثقافي ودار نشر كبيرة جدا • وليس ذلك بمستغرب في بلد اشتراكي حيث تعتبر الثقافة الغذاء الفكري الذي له الاسبقية الاولى لكي يتسلح المواطنون والمهم فيهم الجيل الجديد بسلاح الايديولوجية وسلاح العلم • ولكي تتصور مدى الاهمية التي يعطيها النظام لهذه المؤسسات ، نذكر ان ٣٦٠ الف مكتبة موجودة الان في الاتحاد السوفيتي • وتقف مكتبة لينين على رأس هذه المؤسسات•

ولكي تنجح هذه المكتبة في اداء مهمتها فانهم قد اطلقوا لها الحرية في العمل، فليس هناك قيود مالية أو ميزانية محدودة • ميزانيتها من وزارة الثقافة ولكن الصرف وشراء الكتب والمشاريع الثقافية ليس له حدود مالية طالما هي مكتبة هائلة ، ومركز معلومات فيما يتعلق بالثقافة والفن ، ودار نشر كبيرة اذ تصدر من الكتب الحديثة بما يقارب الفي صفحة منها في السنة •

وتتعامل هذه المكتبة مع أربعة الاف مؤسسة أجنبية ، منها اربع مؤسسات عراقية هي المكتبة الوطنية ومكتبة الآثار ومكتبة جامعة بغداد ومكتبة غرفة تجارة بغداد •

وتشترك في ١٤ ألف مجلة خارج الاتحاد السوفيتي •

هناك قانون فيما يتعلق بالمطبوعات والمكتبات في الاتحاد السوفيتي يقضي بتسليم مكتبة لينين ثلاث نسخ من كل كتاب يطبع في الاتحاد السوفيتي ، هذا علاوة على أعداد الكتب التي تراها المكتبة ضرورية فتشتريها من ميزانيتها الخاصة •

توفر في المكتبة كافة الكتب التي تصدر بمائة لغة من لغات الاتحاد السوفيتي، كما توفر فيها الكتب الاجنبية بحدود مائتي لغة أجنبية • هنا يجب ان نشير الى ان عدد كتب هذه المكتبة ٢٧ مليون كتاب ، منها ١٧ مليون كتاب سوفيتي ، و١٠ ملايين كتاب أجنبي ، ولذلك من حيث تعداد الكتب تعتبر المكتبة الثانية في العالم بعد مكتبة الكونغرس الامريكي التي تضم ٤٠ مليون كتاب •

ولكن مكتبة لينين تعتبر الاولى في العالم ، وتتفوق على مكتبة الكونغرس بفعالياتها من حيث عدد القراء ، والكتب التي تعطى لهم ، والمعلومات التي توفرها للمواطنين بسرعة كبيرة • وهنا تجدر الاشارة الى ان عدد القراء في أية دقيقة يتراوح باستمرار بين ٢٦٠٠-٢٧٠٠ قارىء ، ويبلغ عدد القراء يوميا عشرة آلاف قارىء ، وتعدادهم السنوي ٢/٥ مليون قارىء ، ويفترض ان يزيد العدد عن هذا الرقم اذا ما تصورنا ان عدد عشرة آلاف قارىء في كل يوم • ولكن برودة الشتاء ، حيث تنخفض الحرارة الى تحت ٣٠ درجة تحت الصفر ، فينخفض عدد القراء اليومي ، كما انها لا تعمل أيام العطل ، ويقل عدد القراء في موسم الاجازة السنوية الحتمية ، وهي شهر اجازة لكل مواطن يقضيها معظمهم في أماكن الراحة والاستجمام ، على سواحل البحر الاسود وبحر البلطيق •

ولكي تكمل الصورة لدى القارىء عن هذه المؤسسة العظيمة ذات المعطيات الثقافية الكبيرة ، نذكر ان عدد العاملين فيها من موظفين ومستخدمين يبلغ ٣ آلاف شخص !! ويعمل فيها ٤٠٠ باحث علمي في مختلف العلوم •

هذه المكتبة حسب قانون المكتبات لا تسمح باعارة المطبوع خارج المؤسسة الا في الحدود التي ينظمها القانون ، اذ يسمح باعارة الكتب لشخصيات ذات مسؤولية خطيرة لا يسمح وقتهم بالحضور الى المكتبة لمطالعة الكتاب في قاعة المطالعة ، وكذلك للهيئات الدبلوماسية الاجنبية •

تقع بناية المكتبة الجميلة في نهاية شارع كالينين وبالقرب من الكرملين ، وتمتد الى مسافة اربعمائة متر وهي تشرف على الكرملين اشرافا تاما اذ تقع الى الشمال منه •

عدد من الابنية الجميلة المزينة بتماثيل لطيفة تعلو شرفات المكتبة ، التي ترتفع بحدود أربعة طوابق . مقابل الساوة التي كان مقر الرئيس كالنين فيها.

فندق راسيا :

في بقعة حالمة من اراضي روسيا ، وفي قلب مدينة موسكو ، ينتصب فندق راسيا أعظم فنادق العالم اطلاقا . فبينما هو يشرف ويسيطر على نهر موسكو الجميل الخالد ، الذي لعبت به يد العلم والفن فنظمت ضفافه أجمل تنظيم وبأبهى زينة لكي يستخدم للملاحة النهرية ، بعد ان كبحوا جماحه ، فلا فيضان ولا اوحال ولا اوساخ ، يطل الفندق على قصر الكرملين فيمنح نزلاء الفندق خيالا يعيشون فيه بين التاريخ والجمال ، ويحلمون بروعة الربط والمزج بين القديم وبين الحديث .

وهو أمر يعجب السواح الاوربيين والامريكان أكثر طبعا مما يثير العرب الذين عاشوا مع بابل ونينوى وأور واهرامات مصر .

والفندق هذا بطوابقه الـ ٢١٢ والتي تعلوها في المنتصف طوابق اخرى تصل الى ٢٤ طابقا ، مؤلف من أربعة فنادق من حيث الواقع ، اذ فيه أربعة أبواب سميت حسب الجهات الاربع . فليس بكاف ان يكون عنوانك فندق راسيا، اذ يجب عليك ان تذكر المدخل ، فانت اذ تسكن في راسيا المدخل الشمالي ، قد يكون رفيقك في راسيا المدخل الجنوبي ، واخر في راسيا المدخل الشرقي واخرون في فندق راسيا المدخل الغربي .

وكل من هذه الجهات لا تتصل بالجهة الاخرى ، فهي مفصولة تماما في الطابق الارضي وذلك تسهيلا للنزلاء من جهة وتسهيلا للسيطرة وتقديم الخدمات من جهة اخرى . بينما يمكن الاتصال بين القواطع في الطوابق الاخرى . وراسيا هذا يحتوي (٦) آلاف غرفة لذلك فعدد المتواجدين فيه بين عمال وخدم ونزلاء قد يصل الى ١٠ آلاف انسان في بناء واحد !! .

وفيه صالتا عرض سينمائية وعدد كبير من المطاعم والمقاهي واماكن الاستراحة ، وفيه قاعة الكونسرت للموسيقى والغناء تحتوي على ٣ آلاف كرسي.

وراسيا كلمة تعني روسيا وكأنهم ارادوا ان يعبروا عن عظمتها بهذاالفندق الضخم في قلب التاريخ الروسي وفي اجمل بقاع العاصمة موسكو .

نوفي ديفجي (دير العذارى)

الى جوار نهر موسكو وجوار ملعب لينين ، وعبر نهر موسكو ، وتطل عليه جامعة موسكو ، يقع دير الفتاة الجديدة (نوفي ديفجي) ذي القباب الذهبية العديدة والجذابة . دير يجسد سعة نفوذ الكنيسة قديما وتأثيرها في الحياة السياسية . كان ذو سعة خيالية بلغت ٤٠ ألف هيكتار ١٦٠ الف دونم عراقي (٤٠٠ ألف دونم مصري أو سوري) وكان عدد فلاحية ١٤/٥٠٠ فلاحا ومع عوائلهم واطفالهم قد يصل عدد ساكني الاقطاعية مائة الف نسمة يكدحون بكل طاقة الانسان وعرقه وكده وتعبه ودمه ، ليقدم ثمار جهده لعدد محدود من الارستقراطيين والنبلاء ظالمي الشعب الروسي ومستغليه .

أقاموا ديرا ومثله العديد من الاديرة التي تحيط بموسكو ، ليجسدوا جبروتهم وبذخهم فبنوا قبابه ونواقيسه بالذهب الخالص ، وبارتفاعات عالية ، تراها من مسافات بعيدة فصيروه بهجة للناظرين . واذا ما اختلطت أشعة الشمس الذهبية بالذهب الوهاج وسط المروج الخضر والجنان اليانعة على جانب النهر الجميل ، حصل الناظر على متعة هي أشبه بجنان الخلد أو خيال يحيط بالجنان .

في هذا الدير حبس بطرس الاول أو بطرس الكبير أعظم قياصرة روسيا اخته صوفيا وزوجته حتى الموت لتآمرها عليه ، وفيه يرقد جثمان القيصر (بوريس غودونوف) الذي اهتم به شاعر روسيا الكبير بوشكين فكتب مسرحيته الشعرية المشهورة بهذا الاسم .

ويرقد فيه البطلان الكساندر كوسموديميا نسكايا واخته زويا كوسموديميا نسكايا بطلا الاتحاد السوفيتي اللذان قاوما ببطولة نادرة الغزاة الالمان في الحرب العالمية الثانية ، فقدما للشعوب السوفيتية الامثلة الرائعة في الفداء والذود عن العقيدة والاستشهاد .

وعليه مر نابليون قبل دخوله موسكو • فحاول الدير صد سيل الفرنسيين الهادر مما اسعفته الأيام ولا عز النصير ، فكان اخر موقع يحتله الامبراطور الفرنسي قبل ان تكتحل عيناه برؤية موسكو •

وفي الدير ترقد زوجة ستالين الشابة التي قضت وليس لها من العمر سوى ٣٠ عاما والتي احاطت بموتها الاشاعات التي تتهم زوجها الجبار ستالين بقتلها •

وفي الدير يرقد ابناء ستالين وزوجة جرجنسكي وزوجة مولوتوف وزوجة كوسيجين • واخيرا ، كما يرقد قيصر روسيا (بوريس غودونوف) يرقد احد كبار الشيوعيين في العالم ورئيس الحزب الشيوعي السوفيتي في أعوام عديدة (١٩٥٣-١٩٦٤) نكيتا خروشيف الذي لم يشأ قادة الاتحاد السوفيتي ان يكون مدفنه في جدار الكرملين •

هو دير بقبابه وابراجه ومهابته ، وهو مقبرة للعظماء الذين قدموا خدمات كبيرة للاتحاد السوفيتي • وعلى كل قبر تحفة فنية رائعة من التماثيل والصور واللافتات • ولو قدر لك رؤيته فلن ترى مقابر تثير مسحة من حزن بقدر ما ترى من تحف فنية رائعة وانصبة جسدت عظمة الفن الروسي الى أبد الآبدين •

فهذا تمثال حالم لشاعر كبير ، وذلك نصب فني لعبت به يد الفن فخلقت من الصخر الجامد آية روعة في الجمال • وذلك تمثال لقائد تنظر بخشوع واحترام لنضاله ورجولته وتضحياته •

هذا الى جانب ما ضم من حسن التنسيق والعناية في الحدائق والازهار مما يجسد الذوق الروسي الرفيع •

حدائق الراحة والرياضة :

تمتاز موسكو عن بقية المدن الاخرى في العالم الرأسمالي ، بانها تعتني بالانسان عناية ليس لها حدود ، فتجعل منه مالكا لكل شيء • فالمفهوم الاشتراكي وجد مجال التطبيق في كل مكان • فالارض مشاعة بين الناس • فلا قيمة لامتارها

المربعة طالما هي تؤدي خدمة للناس • لذلك كانت السعة في الحدائق واماكـــن الراحة واللهو البريء والالعاب •

وللمرء بعد الكد والتعب ، وبعدما انتج للمتعب ، ان يأخذ قسطه الكامل من اسعة وما تحتاجه نفسه من البهجة ، فكان توفر هذه الحدائق بشكل مثير ، ووفرت فيها أماكن الجلوس ، وادوات لعب الاطفال وتناثرت البارات واكشاك المطاعم ، وفي بعضها مثل (بارك كلتورى أي ادخا غوركي) أي حديقةالراحة والثقافة تجد أوسع مدينة للالعاب ، مع أجمل اماكن الفسحة والتمشي الـــى جانب النافورات المائية الرائعة والكثيرة ، الى جانب بقع كثيرة متناثرة من الزهور بتنسيق فني مثير ، أما الالعاب فهي وان كانت للاطفال الا ان تواجد الام والاب مع الطفل جعل الجميع يمارسونها ، فيركبون سيارة التصـــادم الكهربـــائية او يطيرون بالطائرة أو الصاروخ الدوار ، أو يرتفعون الى ارتفاع عال جدا بدولاب الهواء يتطلعون الى موسكو ، أو يكون لهم نصيب في القطار السريع ذي الحركة النازلة والصاعدة والمتعرجة • أو يقومون بفسحة بالزورق في بحيرة الحديقة وان ارادوا الفسحة النهرية فالزوارق البخارية ذات السرعة العالية التي تصـــل الى ٧٠ كيلومتر في الساعة متوفرة على رصيف الحديقة في نهر موسكو •

وقد سمي البارك باسم اديب روسيا الكبير مكسيم غوركي • وهو مـــن السعة بحيث بلغت مساحته ٢٧٢ هيكتار أي ١٠٨٤ دونما عراقيا أي ٢٧٢٠ دونما مصريا او سوريا ، فهو أكبر من منتزه الزوراء في بغداد حوالي ثلاث مرات ، بينما يعتبر منتزه الزوراء هذا اوسع منتزه في الوطن العربي •

وبارك غوركي أكبر من مدينة الالعاب في بغداد ٢٠ مرة • وفيه تصويـــر لينين بالزهور الحية التي بلغ تعدادها ٣٣٠ ألف زهرة ، ويحتوي على خمس بحيرات ، ويطل البارك على نهر موسكو وترتبط بحيراته الخمس بالنهر •

ويضم أعلى دولاب هواء اذ يصل ارتفاعه ١٦٥ قدما ، أي يقارب ارتفاع مأذنة سامراء (ملوية الخليفة المعتصم بالله العباسي) • ويحتوي على أعظم مسرح مفتوح في اوربا اذ يسع ١٢ ألف متفرج !! •

وربما من المناسب ان أشير الى حديقة أكبر من هذه وهي (حديقة اسماعيل آوا) • التي تعتبر من أهم معالم مدينة موسكو ، والتي تجاوزت حدود الحدائق ، فهي غابة واسعة وسط مدينة ضخمة • فقد انتشرت مساحتها المغطاة بالاشجار الباسقة والكثيفة ، ونظمت فيها الطرق والممرات بحيث سهلت للناس التمتع داخل المدينة بجمال الغابات واستغلالها للراحة أو الفسحة أو الرياضة • وقد بلغت مساحة متنزه اسماعيل آوا ٢٩١٥ هيكتار أي ١١٦٦٠ دونما عراقيا أو ٢٩١٥٠ دونما مصريا أو سوريا أي ٢٠ مرة أكبر من متنزه الزوراء في بغداد والذي يعد أكبر متنزه في الوطن العربي • كما جاء متنزه اسماعيل آوا أكبر بخمس مرات من متنزه سانترال بارك في نيويورك والذي يعتبر أكبر حديقة ومتنزه فيها •

واشتهر بارك اسماعيل آوا بكونه يحتوي على غابة واسعة ، فيها المنحدرات والبحيرات علاوة على تناثر المطاعم وقاعات العرض الفني للفن المسرحي والسينمائي واماكن الرياضة الشتوية حيث الطبيعة الجذابة والمنحدرات والتلال الملائمة للتزحلق على الثلوج ، او القفز من منصات عالية نصبت على تلال البارك •

ويكتسب البارك هذا شهرة تاريخية ، فلا زال السوفيت يفخرون ان القيصر الاكبر بطرس الاول ، قضى أيام طفولته في اسماعيل آوا ، وانه تنزه بزوارق البارك في بحيرة البارك • لذلك تسمى الان مجموعة الزوارق هناك (جد الأسطول الروسي) • وعلاوة على هذه المتنزهات ، فهناك المتنزهات الاخرى الكبيرة التي تتصف بنفس صفات المتنزهات التي اشرت اليها ، ولا أجد حاجة لوصفها واكتفي بتعدادها فقط لكي لا ارهق القارىء الكريم • وهي متنزه سكولنكي ومتنزه دزرزنسكي ومتنزه كراسنايا بريسنايا وحديقة ارميتاج ومتنزه الجيش السوفيتي وحديقة بومان وخروشيفسكي فور ومتنزه الفتاة الجديدة ومتنزه الورنيش ومتنزهات جامعة موسكو • ومتنزهات اخرى متناثرة على جوانب نهر موسكو مثلفلي كوكوتسيفو وهيرزن ونكراسوف وليو تولستوي وتوركنيف وجايكوفسكي مع مئات الحدائق والمنتزهات الصغيرة • ولكي يقدر المرء سعة

الحدائق والمتنزهات والغابات فاقول انها بلغت مساحة قدرها ٤٧٠٠٠ هيكتـــار ، أي ١٦٨٠٠٠ ألف دونم عراقي أو ٤٧٠ ألف دونم مصري أو سوري . ولـــم يأت ذلك عبثا أو مجرد رغبة في الجمال وتنسيق المدن ، وانما تأتي ذلك مـن ايمان مجلس مدينة موسكو (البلدية) بالاشـــتراكية ، وانسجامهـم في كـل تصاميمهم مع النظرية ، والاهتمام بالانسان ، وتوفير كل متطلبات الحياة لـه ، والارض والهواء والمتعة والصحة للجميع . هذا علاوة على ان أهم ما يجب ان يوفر للانسان هو البيئة الصالحة للعيش الصحي . وليس هناك من مصفاة مثل الحدائق والاشجار فهي معامل اوكسجين تحسن البيئة باستمرار .

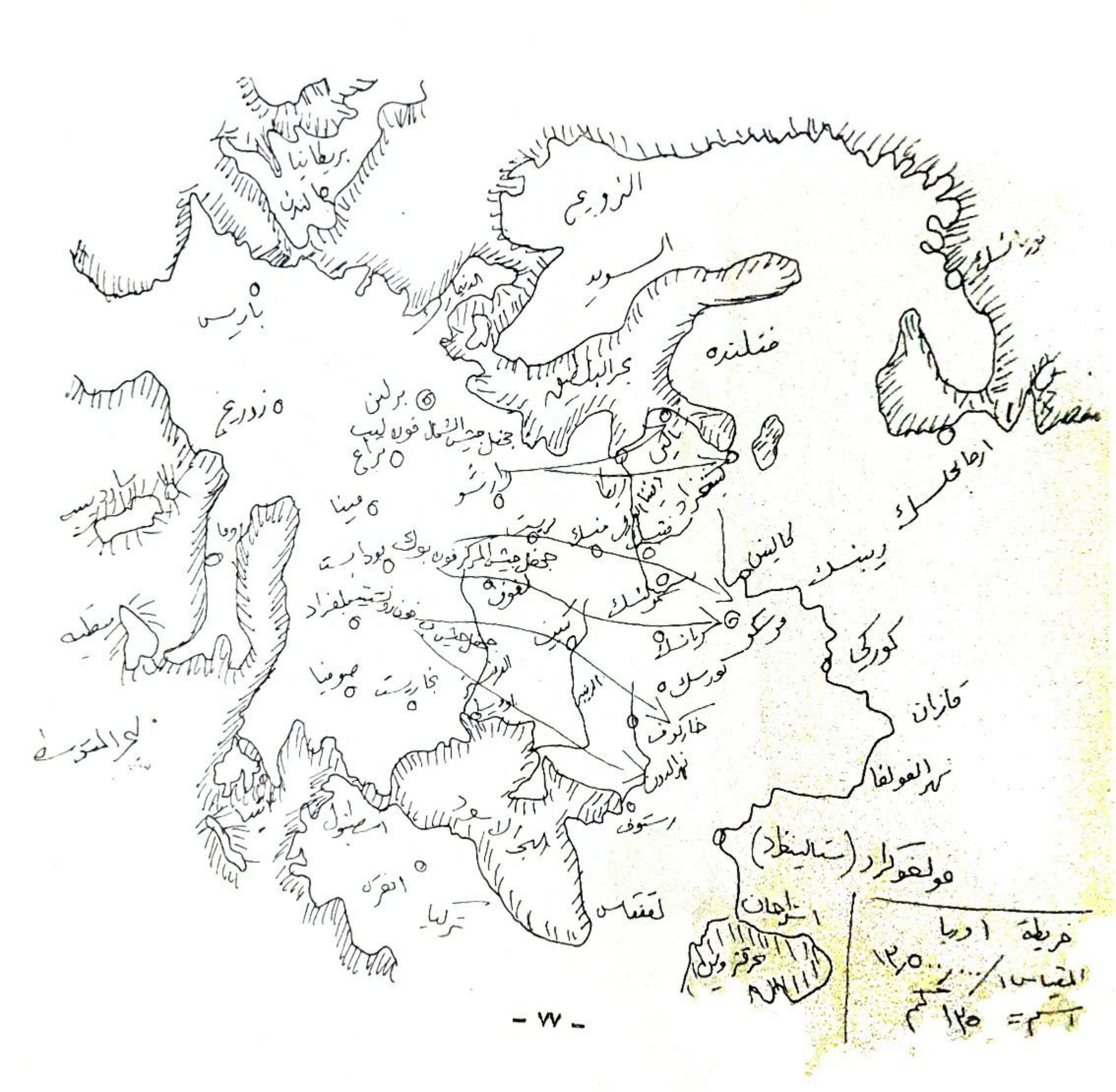
الحرب العالمية الثانية

في ليلة ٢٩ تموز ١٩٣٨ تقدمت قطعات يابانية متفوقة ضد مخافر الحدود السوفيتية ، في منطقة بحيرة خاسان على مسافة ١٣٠ كيلومتر الى الجنوب من فلادفستك في الشرق الاقصى ، فصمد عشرة جنود فقط بقيادة الملازم تيرشكين يومين بوجه الغزاة ، ولم يسلموا مرتفع بيزيميانايا الا بسبب الاعياء الكبير والتفوق الساحق ونفاذ الذخيرة •

هذه الصفة ، صفة الصمود والعناد والصبر الجميل هي صفات أو تعابير عن حب الوطن أو الشجاعة أو التضحية والفداء ، أو هي احسن تعبير عن الاخلاص •

هذه الصفة من طبيعة الشعب السوفيتي واحسب ان المناخ والثلوج وسعة الارض خلقت في هذه الشعوب غرائز لا تتوفر الا في الشعوب التي تعيش في ظروف مشابهة • فالبرد والثلج يحتاج الى الصبر وبعد المسافات في وطن مترامي الاطراف يخلق صفة الصبر ، وهذا الصبر هو الذي يلد الارادة الحديدية ٠الصمود ومن ثم التضحية •

وقد تكرر حادث صمود الملازم تيرشكين وجنوده العشرة مرارا عبر التاريخ الروسي والسوفيتي • فبطل روسيا وقائد جيشها كوتوزوف ، كان ملهما للاجيال المتعاقبة في صبره وصموده أمام نابليون • فهو تيرشكين الكبير أو ان تيرشكين كان يتقمص روح كوتوزوف الكبير في صموده بجنوده القلة أمام كثرة جارفة ! •


بريطانيا
لندن
النرويج
السويد
فنلنده
بحر البلطيق
باريس
زوريخ
برلين
براغ
فينا
وارشو
بودابست
بلغراد
صوفيا
بخارست
البحر الاسود
استانبول
انقرة
تركيا
القفقاس
روستوف
خاركوف
موسكو
كالينين
كوركي
قازان
نهر الفولغا
فولغوغراد (ستالينغراد)
استراخان
بحر قزوين
البحر المتوسط
خريطة اوربا
المقياس ١ : ١٢٫٥٠٠٫٠٠٠
١ سم = ١٢٥ كم

تكرر هذا في قلعة بريست في الجزء الغربي من روسيا البيضاء ، اذ صمدت بطولة نادرة حتى بعد ان تجاوزها الالمان في الحرب العالمية الثانية مئات الكيلو مترات • ولا زالت الكتابات على جدران القلعة ومنها (اموت ولن اسلم • وداعا يا وطني ٢٠/٧/٤١) شاهدا على البطولة وتكررت في صمود حاميات اوديسا وسواستبول البطولي •

وكان الصمود في لينينغراد والصبر على محن الايام والالمان ، رغم الدمار الهائل والجوع الفظيع وظلم النازيين الذي قل مثيله في الشعوب المتحضرة • ولا يفوقه الا اجرام الصهاينة ضد الشعب العربي الفلسطيني ، وعبثهم بالقيم الانسانية وتجاوزهم لكل المفاهيم الاخلاقية والانسانية والحضارية •

صمدت لينينغراد اعتبارا من ٨ أيلول ١٩٤١ حيث طوقت لمدة ٩٠٠ يوما أكل فيها السكان كل أنواع الحيوانات المتوفرة بما فيها الكلاب • وكان هتلر قد قرر الحكم عليها بالفناء التام ، وعلى أهلها بالهلاك ، وقد جاء في الامر اليومي لمجموعة جيوش الشمال الى الجنود الالمان (قرر الفوهرر مسح مدينة بطرسبرغ من وجه الارض •• فبعد هزيمة روسيا السوفيتية لن يتسم بأية أهمية وجود هذا المركز السكني الضخم ••• واذا قدمت بسبب الوضع في المدينة طلبات الاستسلام فسوف ترفض ، وذلك لان المشاكل المتعلقة بوجود السكان في المدينة وتزويدهم بالمواد الغذائية لا يمكن ولا يجب ان تحل من قبلنا • ففي هذه الحرب الجارية من أجل حق البقاء ليست لنا مصلحة في الابقاء ولو على قسم من السكان) تصور القسوة والوحشية انه يرفض حتى الاستسلام الذي كان يتخيله ؟!! والذي لم يخطر للمدينة الجبارة على بال •

قاومت وقاومت حتى النصر ، وذلك مثل رائع حرى بدول العالم الثالث ان تحتذيه في تحديها للامبريالية والاستعمار وصراعها ضد الطغيان والتجزئة، حتى تنتصر ارادتها في الحرية والحياة الحرة الكريمة •

ولامتنا العربية وشبابها اولى من غيرهم بدراسة هذه الظاهرة وهذه الصفات البطولية في الصمود ، لاننا نعاني أكثر من أية امة على وجه الارض من امراض التجزئة والتخلف والاستغلال • لنأخذ دروسا نلقنها الطفل الرضيع ونثقف بها كل امرأة حامل ، لتباشر عملية العناد والصمود والصبر مع الوليد ساعة يولد حتى نحقق أهداف امتنا في الوحدة والحرية والاشتراكية •

وفي اوائل المعارك لاحظ الالمان صمود السوفيت بشكل لم يألفوه في السابق ، لهذا دون الفيلد مارشال فون هالدر رئيس اركان القوات البرية الالمانية في يومياته (تجدر الاشارة الى صمود بعض التشكيلات الروسية في المعركة • فقد حدث إن فجرت حاميات استحكاماتها وهي فيها تخلصا من الاسر !) • ثم قال (ان الروس في كل مكان يحاربون حتى النفس الاخير) •

وصمدت بعدئذ ستالينغراد حيث دارت ملاحم مشهوره •

ازاء هذا الحال ليس بمستغرب ان يذود السوفيت عن عاصمتهم موسكو بعناد وبطولة غريبتين ، ولما كان لهذا العمل البطولي الجبار الاثر الحاسم على تحطيم النازية واثره السياسي والاجتماعي في ربح الحرب العالمية الثانية ، انتصار قضايا الشعوب وانقشاع الظلام عن جزء كبير من المعمورة بفعل موجات الحرية والتقدم التي حملتها الافكار الاشتراكية ، فسأتطرق الى الموقف العسكري العام باختصار منذ بدء الحرب حتى الدفاع عن موسكو •

لقد طبق هتلر الحرب الخاطفة بشكل مذهل في الساحات الاوربية ، التي خاضت فيها الجحافل الالمانية المدرعة اروع امجادها وحصلت على نصر سهل المنال • وحاول تطبيق نفس النظرية في غزوه للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ فوضع القادة الالمان خطة جهنمية للهجوم على الاتحاد السوفيتي من ثلاث جبهات

هي : الجبهة الشمالية ويعمل فيها مجموعة جيوش الشمال بقيادة الفيلد مارشال فون ليب •

الجبهة الوسطى : وتعمل فيها مجموعة جيوش المركز (أ) بقيادة الفيلد مارشال فون بوك •

الجبهة الجنوبية : وتعمل فيها مجموعة الجيوش (ب) بقيادة مارشال فون رونشتات •

وسميت خطة الهجوم (بخطة باربروسا) تيمناً باسم ملك المانيا فردريك بربروسا الملقب فردريك الكبير •

وكانت الخطة تقضي بالاندفاع بالعمق الى مدى الفي كيلو متر ، والتوقف على خط يستند على الساحل الغربي لبحر قزوين ونهر الفولغا ثم يمتد شمالا حتى ميناء ارخانجليسك • وان يجرى تنفيذ الخطة في غضون شهرين •

قوات الطرفين :

كان مجموع الفرق الالمانية في المانيا واوربا وشمال افريقيا ٢١٤ فرقة • منها ٢١ فرقة مدرعة و١٤ فرقة آلية فحشد الالمان ضد الاتحاد السوفيتي من هذه الفرق ١٢٠ فرقة مشاة •

١٩ فرقة مدرعة (دبابات)

١٤ فرقة آلية

كما حشدوا قوات اضافية من الدول الحليفة لهم أو التابعة اليهم فكانت ٢٩ فرقة و١٦ لواء مستقل أي ٥ فرق • فيكون مجموع الفرق الالمانيةوالحليفة لها ١٨٧ فرقة •

ساندتها ٣٧٠٠ دبابة و٤٩٥٠ طائرة و٤٨ ألف مدفع •

بينما كانت القوات السوفيتية ١٧٠ فرقة ولوائين مستقلين مسندة بـ ٣٤٦٩٥ مدفعا وعدد كبير من الدبابات والطائرات •

وبعد اعلان التعبئة العامة ساق السوفيت الى الجبهة ٣٢٤ فرقة سوفيتية •

وكان الالمان يمتازون بالحنكة والتجربة العسكرية الممتازة ، التي اكتسبوها خلال حروبهم مع البولونيين والفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين والانكليز واليوغسلاف والالبانيين علاوة على سيطرتهم على تجهيزات عسكرية فنية استفادوا منها ، بينما كان الجيش السوفيتي يضم عددا كبيرا من فرق الخيالة التي وصل عددها ٨٢ فرقة بعد التبعئة العامة ، ولم يجرب هذا الجيش في حرب حديثة • كما ان قادته لم يتمرسوا على فنون القتال الحديثة بل تمسكوا بالتقاليد الحربية القديمة والنظريات البالية ، وكان كل هم بعض القادة فتل الشوارب والتفاخر بالفروسية وامجاد الخيالة ، الامر الذي أدى الى ضياع العديد من المدن وتدمير وأسر عدد عظيم من الفرق ، بسبب هذا الجهل والظروف العسكرية السيئة ، حيث كان النقص في التسليح والتجهيز والمطارات والقطارات والآليات من الامور الواضحة للعيان •

بدء الحرب :

في فجر اليوم الثاني والعشرين من حزيران ١٩٤١ بدأت الجحافل الهتلرية اجتياح الاتحاد السوفيتي في ثلاث جبهات كما ذكرنا • وفي الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٢ حزيران اذاع مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي على الشعب السوفيتي والعالم عبر الراديو نبأ نشوب الحرب واعتداء الالمان المفاجيء• وقال في نهاية بيانه (ان قضيتنا عادلة وسنحطم العدو وسيكون النصر لنا) •

وقد تلقت القوات السوفيتية في الجبهات الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية التي كان يقودها على التوالي الجنرالات السوفيت كوزنتسوف وبافلوف وكيربونوس ، وصايا الحرب بصد الالمان وقذفهم الى ما وراء الحدود ؟!! فنشب قتال ضار وطاحن ، ودارت رحى معارك هائلة منذ الساعات الاولى ،حاول السوفيت جهدهم صد الموجات الالمانية الزاحفة المتعاقبة ، وكبح جماحها •وعبثا حاولت ذلك اذ كان ينقصها السلاح والاستعداد • وبعد شهر من الصراع

الجبار والقتال العنيف كانت القوات الالمانية قد تقدمت كثيرا ، وجعلت وضع الجيوش السوفيتية عسيرا ، خصوصا في الجبهة الوسطى حيث تتقدم جيوش المارشال فون بوخ نحو موسكو . اذا استطاع جيشا دبابات الجنرالين غودريان وفون هوت الثاني والثالث تطويق الجيشين الثالث والعاشر السوفيتين قرب مدينة بلوستوك عند الحدود وتدميرهما والقيام باختراق عميق نحو منسك (٢٥٠ كيلو داخل الحدود او ٦٦٠ كم غرب موسكو) التي دمرها سلاح الجو الالماني تماما . بينما قام جحفل جيش المارشال فون ليب باختراق عميق لمسافة ٤٥٠ كيلو مترا على محاذاة بحر البلطيق باتجاه لينينغراد . بينما اشرفت جيوش المارشال فون رونشتات على مدينة كيف عاصمة اوكراينا .

وقال فون هالدر رئيس اركان القوات البرية الالمانية في مذكراته يوم ٣ تموز (من الممكن القول عموما الان ان مهمة تحطيم القوات الرئيسية للجيش الروسي أمام نهرى دفينا الغربي والدنيبر قد نفذت ... ولن نواجه شرقي نهرى دفينا الغربي والدنيبر الا مقاومة مجموعات متفرقة لن تستطيع كل منها على انفراد ان تعرقل من حيث عددها بصورة جدية هجوم القوات الالمانية .... ولذلك فلن ابالغ اذا قلت باننا ربحنا الحملة على روسيا في غضون ١٤ يوما) !!؟؟

ونهر دفينا الغربي هذا يقع على مسافة ٣٥٠كم شمال غربي موسكو ثم يصب في نهر داوكفا الذي يصب في البلطيق عند مدينة ريكا عاصمة لتوانيا .

وكان يقابل هذا الموج الصاخب من الجحافل الالمانية الزاحفة ، موقف ثابت حازم ، وقفه الشعب السوفيتي وقيادته الصامدة المدركة . اذ اذاع ستالين خطابا بالراديو يوم ٣ تموز بشكل نداء يستهب ويستنفر السوفيت فقال (ان خطرا هائلا يتهدد بلادنا ولذلك فعلينا ان نعيد تنظيم عملنا بسرعة وحزم طبقا لمتطلبات الحرب) وطالب كافة المنظمات الحزبية والنقابية والشبيبة ان تترك الاهمال والاتكالية (وان تعبأ كافة منظماتنا وكافة قوى الشعب لدحر العدو والتنكيل دون رحمة بجحافل الفاشية الالمانية التي هجمت علينا) .

وفي ١٠ تموز اعيد تنظيم لجنة الدولة السوفيتية للدفاع • فجرى تشكيل مقر القيادة العامة العليا برئاسة جوزيف ستالين ، وضم مولوتوف وزيرالخارجية ومارشالات الاتحاد السوفيتي تيموشنكو وزير الدفاع وبوديسوني وفوروشيلوف وشابو شنيكوف وجوكوف •

وفي صيف هذا العام (وجهت القيادة السوفيتية اكثر من ٣٢٤ فرقة زجت في الاتجاهات الحاسمة للحرب) • بينما كان الالمان يقدرون ان السوفيت لن يستطيعوا ان يعبئوا أكثر من ١٥٠ فرقة •

وفي بداية الحرب كان الالمان وحلفاؤهم من الايطاليين والرومانيين يتفوقون على القوات السوفيتية في القطاع المركزي قرب الحدود بضعفين في الافراد و٤/٣ ضعف بالمدفعية وباربعة أضعاف في الطيران •

معركة سمولنسك :

ومن ١٠ تموز حتى ١٠ أيلول دارت أشد المعارك الطاحنة فيالجبهة الوسطى، حيث طحنت الحرب برحاها الملايين من الجانبين وتكبد الجانبان خسائر هائلة ، خصوصا في معركة سمولنسك الكبرى (٣٦٠ كم غرب موسكو او ٣٠٠ كم شرق منسك) حيث استلم القيادة السوفيتية المارشال تيموشنكو اتجاه قوات المركز الالمانية بقيادة المارشال فون بوخ •

واصل فون بوك هجماته الشديدة بالدبابات فتمكنت بعد أيام عصيبة وبخسائر هائلة ، خرق الدفاعات السوفيتية فاستطاعت تطويق الجيش السوفيتي العشرين بقيادة الجنرال كوروتشين في سمولنسك • وقد استبسل هذا الجيش وابلى بلاء حسنا في الصراع الرهيب ، اذن شن ٢٢ هجوما مضادا وهو يذود عن حياضه وحياض الوطن في الفترة من ١٠ الى ١٥ تموز • كما تمكن الالمان من دحر الجيش السوفيتي السادس عشر بقيادة الجنرال لوكين بعد ان حارب ببسالة نادرة في سمولنسك •

وقد وصلت قوات فون هوت من الجيش المدرع الالماني الى مدينة بارتسيفو (٣٠٠ كم غرب موسكو) وان تقطع أهم شريان حيوي للمواصلات • وهو طريق موسكو ـ منسك •

ووصلت قوات المارشال غودريان من الجيش المدرع الالماني الثاني ضواحي سمولنسك وتمكنت مجموعة جيوش المركز الالمانية ان تلوى الجناح الايمن الروسي ، بعد ان سددت له ضربات شديدة فاضطر الجيش السوفيتي الى التراجع الى فليكه لوكي الواقعة على مسافة ٤٣٠ كيلو متر غرب موسكو ، ونيفيل على بعد ٤٧٠ كم غرب موسكو واستولى الالمان على مدينة يلنيا (٣٠٠ كم جنوب غربي موسكو) واصبحت القيادة الالمانية تعتقد ان هذه المنطقة تشكل رأس جسر للانطلاق نحو موسكو •

وبعد معارك رهيبة تمكن الالمان من تدمير القطعات السوفيتية المدافعة في سمولنسك واحتلال المدينة •

وفي ٢١ تموز أصدرت القيادة العامة السوفيتية أمرا للقطعات السوفيتية بالهجوم المقابل العام لاسترجاع سمولنسك • وبعد معارك ضارية فشل الهجوم السوفيتي في استرجاع المدينة ، ولكنهم تمكنوا من استرجاع مدينة يلنيا (٣٠٠كم جنوب غربي موسكو) واوقفت جيوش القادة السوفيت الثلاثة خومينكو وكالينن وكاتشالوف زحف الجيش الالماني المدرع الثالث الذي يقوده المارشال فون هوت باتجاه مرتفعات فالداي • كما تمكن جيش الجنرال روكوزوفسكي من صد عواصف الدبابات الالمانية من الجيش الثالث الالماني المدرع قرب مدينة يارتسيفو التي خربت تماما بعد ان تناولتها أيدي الالمان والسوفيت عدة مرات عبر هجمات مقابلة عنيفة بالدبابات •

وكان المارشال فون هالدر قد ذكر في يومياته في ١١ تموز (ان قيادة العدو تعمل بنشاط ومهارة • وتحارب قواتها بضراوة وتعصب • وتقاتل القوات الروسية كالسابق بضراوة شديدة للغاية • فالعدو لا يفكر كما هو واضح بالانسحاب • ويقوم العدو بهجمات عنيدة) •

وبهذا أمكن وقف الزحف الالماني في القطاع الاوسط باتجاه موسكو ، ولاول مرة يتوقف الالمان عن الزحف في تاريخ الحرب العالمية الثانية .

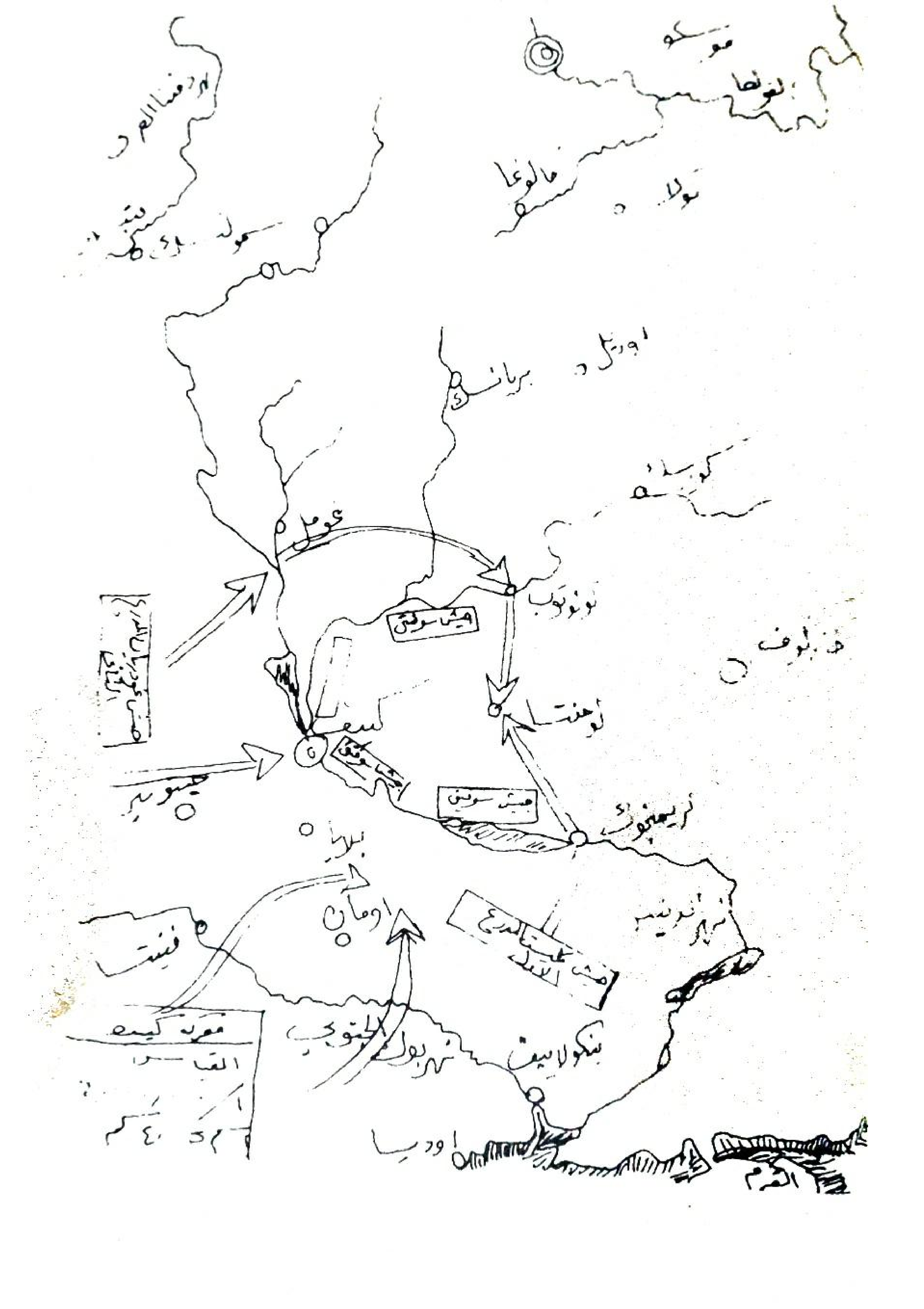
وفي الجبهة الشمالية باتجاه لينينغراد ، زحفت مجموعة جيوش المارشال فون ليب ، وكانوا يأملون الالتفاف على جناح الجيوش الروسية المقاتلة في الجبهة الوسطى ، وتوجيه ضربة الى منطقة موسكو من الشمال الغربي . وكان هدفهم الاستيلاء على لينينغراد وكرونشتات وقطع سكة حديد مورمانسك وبهذا يسيطرون على منطقة البلطيق والشمال الاقصى ، وتدمير الاسطول السوفيتي في البلطيق .

وبذل السوفيت جهودا جبارة لتحصين المنطقة الدفاعية عن لينينغراد ، فكان يعمل يوميا نصف مليون شخص في الاعمال الترابية والبناء والحفريات لاقامة العديد من انطقة الخطوط الدفاعية عن المدينة طيلة شهري تموز وآب .

وفي ١٠ تموز وجه الجيش الالماني المدرع الرابع بقيادة المارشال فون مانشتاين ضربة شديدة من بسكوف الواقعة على مسافة ٢٥٠ كيلو متر جنوب غربي لينينغراد ، الى الجيوش السوفيتية المدافعة عن نوفغورد (١٥٠ كم جنوب لينينغراد) وبعد معارك دامية دامت اربعة أيام كبح السوفيت جماح الدروع الالمانية قرب مدينة سولتسي (١٨٠ كم جنوب مدينة لينينغراد) . وان كانت القوات الالمانية قد أقامت رأس جسر عبر نهر لوغا .

وتمكن الجيش الالماني الثامن عشر من اجبار الجيش السوفيتي الثامن على التراجع والاستيلاء على استونيا . كما دفعت القوات الالمانية بصعوبه قوات الجيش السوفيتي الثاني والاربعين الذي اوقفهم في كراسنو غفارديسك في ٢١ آب ١٩٤١ بعد ان تكبدوا خسائر فادحة .

وفي ٢٥ آب شن الالمان اخر هجوم لهم في الشمال وبصعوبة بالغة دخلت قواتهم الى منطقة كولبينو (١٥كم جنوب لينينغراد) ووصلوا الى مدينة شليسيلبورغ . وفي ٨ أيلول طوقوا مدينة لينينغراد ، التي صمدت بشموخ واباء . فوجهوا اليها قصفا وحشيا آتى على الاماكن الآهلة بالسكان . فقذفوها



موسكو
الفولغا
أوريل
بريانسك
كورسك
جيش سوفيتي
جيش سوفيتي
جيش سوفيتي
جيتومير
أومان
فنيتسا
كريمنشوك
نهر الدنيبر
معركة كييف
نيكولاييف
أوديسا
القرم

مساء ٨ أيلول بستة آلاف قنبلة حارقة احدثت ١٧٨ حريقاً في مختلف انحاء المدينة الباسلة التي قاتلت بعناد وهي محصورة ، ٩٠٠ يوما عانت خلالها ما لا طاقة للبشر باحتماله •

معركة كييف :

وفي الجنوب أصم هدير دبابات جحفل المارشال رونتشتات الآذان ، ومادت تحته الارض فقاتلته الجيوش السوفيتية ببسالة نادرة بقيادة الجنرال كيربونوس والجنرال تولينيف • وقد ضم جحفل الجيش الالماني الذي يقوده المارشال فون رونتشتات القائد الالماني الذي خرق خط ماجينو وحطم فرنسا ، ثم أصبح فيما بعد القائد العام للقوات الالمانية في الجبهة الغربية • ضمت الجيش المدرع الالماني الاول بقيادة الجنرال فون كليست والجيش الالماني المدرع الثالث بقيادة المارشال فون هوت الذي حول من الجبهة الوسطى الى الجنوب وكذلك الجيش الالماني المدرع الثاني بقيادة المارشال غودريان الذي حول ايضا من الوسط الى الجنوب والجيش الميداني الثاني الذي حول من الوسط الى الجنوب والجيش الالماني السادس الذي يقوده الجنرال فون باولوس الذي جرى أسره فيما بعد في ستالينغراد • بينما كانت الجبهة الجنوبية السوفيتية تدافع فيها الجيوش السوفيتية الخامس والسادس والثاني عشر والسادس والعشرون •

وبعد قتال دام لمدة ٧٢ يوما أصبحت الجيوش الالمانية على مشارف كييف عاصمة اوكرانيا • وفي أوائل آب تمكن الالمان من تطويق الجيشين السوفيتيين السادس والثاني عشر قرب أومان ١٨٠ كم جنوب كييف وان يغيروا الحرب في هذه الجبهة لصالحهم • وهنا اصدرت القيادة العليا السوفيتية أوامرها بالتراجع الى ضفة الدنيبر اليسرى مع الاحتفاظ بمدينة كييف عاصمة اوكرانيا في الضفة اليمنى ، وهو واجب صعب للغاية في الاحتفاظ برأس جسر ضيق اتجاه تفوق ساحق • وقد تم هذا في أواخر شهر آب ١٩٤١ • ولم يتوقف الالمان لحظة بعد ان جرى تحويل قطعات من الاحتياط الى الجبهة الجنوبية وقطعات من القطاع الاوسط أيضا كما اشرنا الى هذه الجبهة •

فقام الجيشان الالمانيان المدرعان جيش فون كليست الاول المدرع بهجـوم من الجنوب للالتفاف على الجبهة السوفيتية • وجيش غودريان المدرع الثاني من الشمال لملاقاة دبابات كليست الزاحفة وراء الجبهة السوفيتية • فتمكن غودريان من خرق الجبهة والقيام بعبور ناجح اتجاه مقاومة ضارية وزحف باتجاه كونوتوف (٢٢٠كم شمال شرقي كيف) جنوبا لملاقاة فون كليست الذي تمكن من القيام بعبور ناجح أيضا وخرق الجبهة السوفيتية قرب كريميشوك (٢٦٠كم جنوب شرقي كيف) وزحف شمالا لملاقاة جيش غودريان والتقت دبابات الجيشـين الالمانين المدرعين عند لوخفيتسا (٢٠٠ كم شرق كيف) فوجهت ضربة هائلـة للقوات السوفيتية ، طوقت على أثرها اربعة جيوش سوفيتية في منطقـة مثلثـة متساوية الاضلاع طول ضلعها ٢٥٠كم ، وباشرت بمجزرة هائلة ناضل خلالهـا السوفيت ببطولة نادرة في ظروف عصيبة للغاية فأدى ذلك الى أسر وتدمير تلك الجيوش الاربعة ، وكانت تلك نكبة عسكرية اصابت القوات المسلحة لم يسـبق لها مثيل •

وبحسب تعابير الملاكمة فان القوات المسلحة السوفيتية في الجنوب تلقت في الرأس خطافا يمينا (فون كليست) ثم خطافا يساريا (غودريان) فترنحت وسقطت ارضا على حلبة الملاكمة ، ولكنها بتأثير من معنوياتها وصلابة وعـزم شعبها وارادة القيادة الحديدية ، نهضت قبل العد العاشر •

(يعتبر الملاكم مهزوما بالضربة اذا لم ينهض قبل العد العاشر) •

معركة موسكو :

يقول المارشال فون هالد رئيس اركان الجيش الالماني في كتابه (هتلـر أمير الحرب) ، والذي يحاول ان يثبت فيه ان هتلر ليس بأمير حرب فهـو لا يفقه شيئا فيها ، قال ان القائـد العـام للجيش الالمـاني البري المارشـال فون براوشيش كان يريد مواصلة الهجوم نحومدينة موسكو بعد٢٤ آب ١٩٤١• وكان يعتبرها الهدف الاستراتيجي الرئيس ، الا ان هتلر كان يرى غير ذلك ، فقد كان يريد احتلال اوكرانيا الغنية وآبار نفط القفقاس ، بل كان يوجه اثناء

النقاش اهانات لمحبذي الهجوم باتجاه العاصمة السوفيتية فقد رد على براوشيش بقوله (ان الادمغة المتحجزة وحدها التي ترى في عواصم الدول اهدافا ستراتيجية خطيرة) ؟! .

ولذلك فقد جرى تحويل عدد من الجيوش من الميدان المركزي اتجاه موسكو الى اوكراينا كما اسلفنا ، ويقر ذلك الواقع تاريخ الحرب السوفيتي (وتكشفت بين أوساط القيادة الالمانية العليا تناقضات بشأن خطة العمليات اللاحقة . واستمر الجدل طويلا . واصر هتلر على تحويل القوات الاساسية لمجموعة جيوش المركز من منطقة سمولينسك الى اوكراينا . واقترحت قيادة القوات البرية اعداد ضربة توجه الى موسكو مباشرة) . وفي ٢٤ آب (اغسطس عقد في مقر هتلر اجتماع حاسم حضره كبار قادة القوات المسلحة . وبعد مناقشات طويلة اتخذ الاجتماع قرارا في اخر المطاف . فقد ظل هتلرا مصرا على رأيه حتى حققه . وفي النصف الثاني من آب تحولت قوات كبيرة من مجموعة جيوش المركز من اتجاه سمولينسك وموسكو نحو الجنوب) .

وبعد نجاح الالمان في الجنوب سيطروا على أهم المناطق الاقتصادية في البلاد، وعلى ثروات هائلة كما أصبحوا عند جدران لينينغراد ، ويحتلون معظم اوكراينا وكل روسيا البيضاء وأصبحوا يهددون موسكو .

لذلك قرر هتلر احتلال موسكو بضربة هائلة وفق خطة سميت (الاعصار) وان تدور هذه العملية كالزوبعة على مشارف العاصمة السوفيتية في تشرين الاول ١٩٤١ .

قوات الطرفين :

اعيدت الى الجبهة الوسطى القوات الالمانية التي جرى سوقها الى الجنوب بما فيها الجيش المدرع الثاني الذي يقوده غودريان .

قام بتنفيذ (الاعصار) المارشال فون بوك ، وكانت قواته تتألف من ٧٨ فرقة من ضمنها ١٤ فرقة مدرعة و٨ فرق آلية يبلغ تعدادها حوالي مليون

جندي ، وتحتوي على ١٧٠٠ دبابة و١٤ الف مدفع ومدفع هاون تساندها ٩٥٠ طائرة .

بينما كانت القوات السوفيتية المواجهة للالمان على جبهة طولها ٧٥٠ كيلومتر تتألف من الجبهة الغربية بقيادة الجنرال كونيف وجبهة بريانسك (٣٤٠ كم جنوب غربي موسكو او ٤٠٠ كم شمال غربي كيف) بقيادة الجنرال يريمنكو والجبهة الاحتياطية بقيادة المارشال بوديوني . والمارشال تيمشنكو هو القائد العام للجبهات الثلاث وكان تعداد القوات السوفيتية حوالي ٨٠٠ ألف جندي و٦٨٠٠ مدفع وهاون و٧٨٠ دبابة وحوالي ٥٥٠ طائرة . وامكن عند بدء المعركة تعزيزها بـ ١١ فرقة و١٦ لواء دبابات أي حوالي ٢٠٠ ألف جندي دبابة .

خطة المعركة وتنفيذها :

في فجر ٣٠ أيلول (سبتمبر) بدأت القطعات الالمانية الهجوم في جبهة بريانسك لتثبيت الجبهة وتحويل الانظار عن جبهة موسكو ، فتمكنت من التقدم للامام اتجاه مقاومه عنيفة .

وفي الساعة الخامسة والدقيقة ٣٠ من فجر يوم ٢ تشرين الاول ١٩٤١ بدأ الهجوم باتجاه موسكو . وقد جاء في يوميات الحرب للمارشال فون هالدر رئيس اركان القوات البرية الالمانية (بدأت مجموعة جيوش المركز في الساعة الخامسة والدقيقة ٣٠ من هذا اليوم الخريفي الصافي العملية الكبرى (الاعصار). وتابع مجموعة دبابات غودريان زحفها الى الامام بالرغم من الصعوبات في جناحها الايمن الذي تأخر) وفي هذا اليوم اعلن هتلر نفسه في امره اليومي الى جنود الجبهة الشرقية (تهيأت اخيرا مقدمة للضربة الهائلة الاخيرة التي ينبغي أن تؤدي الى تحطيم العدو قبل حلول الشتاء . وقد انتهى التحضير كله على قدر ما يتمكن عليه الانسان ....

وستبدأ اليوم اخر معركة حاسمة كبرى في هذا العام) .

وكانت عملية الاعصار تهدف الى الهجوم من قواطع دوخوفشينا (٣٢٠ كم غربي موسكو) وروسلاف (٣٦٠كم جنوبي غربي موسكو) وغولخوف (٢٦٠ كم جنوب موسكو) وخرق الجبهة والاندفاع بسرعة الى موسكو ، لتطويق وتحطيم القوات الاساسية السوفيتية في الجبهة الغربية ، وجبهة بريانسك ، في منطقتي فيازما (٢٠٠ كم غرب موسكو) وبريانسك (٣٤٠ كم جنوب غربي موسكو) وبعدئذ مواصلة الهجوم الخاطف على موسكو بالالتفاف عليها من الشمال والجنوب ، مع توجيه الضربات اليها بهجوم شديد من الامام في نفس الوقت •

باشرت الجيوش الالمانية هجومها الصاعق فجر ٢ تشرين على الجبهتين السوفيتين الغربية والاحتياطية ، اتجاه مقاومة ضارية • فاهتزت الارض تحت زئير الدبابات وعصف المدفعية الصاعق وصراع الرجال ، ووسط الحلول اذ ابتل تراب الارض بدماء الانسان في مجزرة لم ير الانسان مثيلا لها حتى ذلك التاريخ • استطاع الالمان خرق الدفاعات السوفيتية في عدة اماكن مارين على جثث المدافعين السوفيت الذين صمدوا حتى النهاية ، وقد حدث ان هاجم الالمان بسبعين دبابة مواقع فوج المشاة ٨٩٧ من فرقة المشاة ٢٤٢ فقتل كافة افراد الفوج تقريبا ولكنهم لم يغادروا مواضعهم !!

وفي ٧ تشرين اول نجح الالمان في تطويق قوات سوفيتية كبيرة من الجبهة الغربية قرب فيازما (٢٠٠ كم غرب موسكو) فانفتح امامهم الطريق الى موسكو • وقاومت القوات المطوقة مدة اسبوع وهي تقاتل ٢٨ فرقة المانية قبل ان يجري تدميرها واسرها • فاصبح الموقف عسيرا للغاية وخيمت على العاصمة السوفيتية غمامة تحمل احتمالات ايام عصيبة تهدد باخطار جسيمة •

الا ان الشعب المناضل والارادة الحديدية للقيادة الواعية الصامدة ، دفعت الى التحرك بسرعة لتلافي الكارثة ، ومواجهة الموقف المتأزم الذي وصل الى غاية الحراجة • فجرى عزل قائد الجبهة الغربية وعين مكانه جنرال الجيش جوكوف الذي باشر فورا بالعمل السريع لسوق القطعات من أقاصي سيبريا ووراء الاورال ومن مختلف انحاء الاتحاد السوفيتي الاخرى ، الى منطقة موسكو

لتغطية المسالك المؤدية اليها ، لوقف زحف الجحافل الالمانية • فامكن زج ١١ فرقة جديدة و١٦ لواء دبابات و٤٠ كتيبة مدفعية وقطعات خاصة اخرى فتكونت جبهة جديدة على طول خط موجايسك الدفاعي •

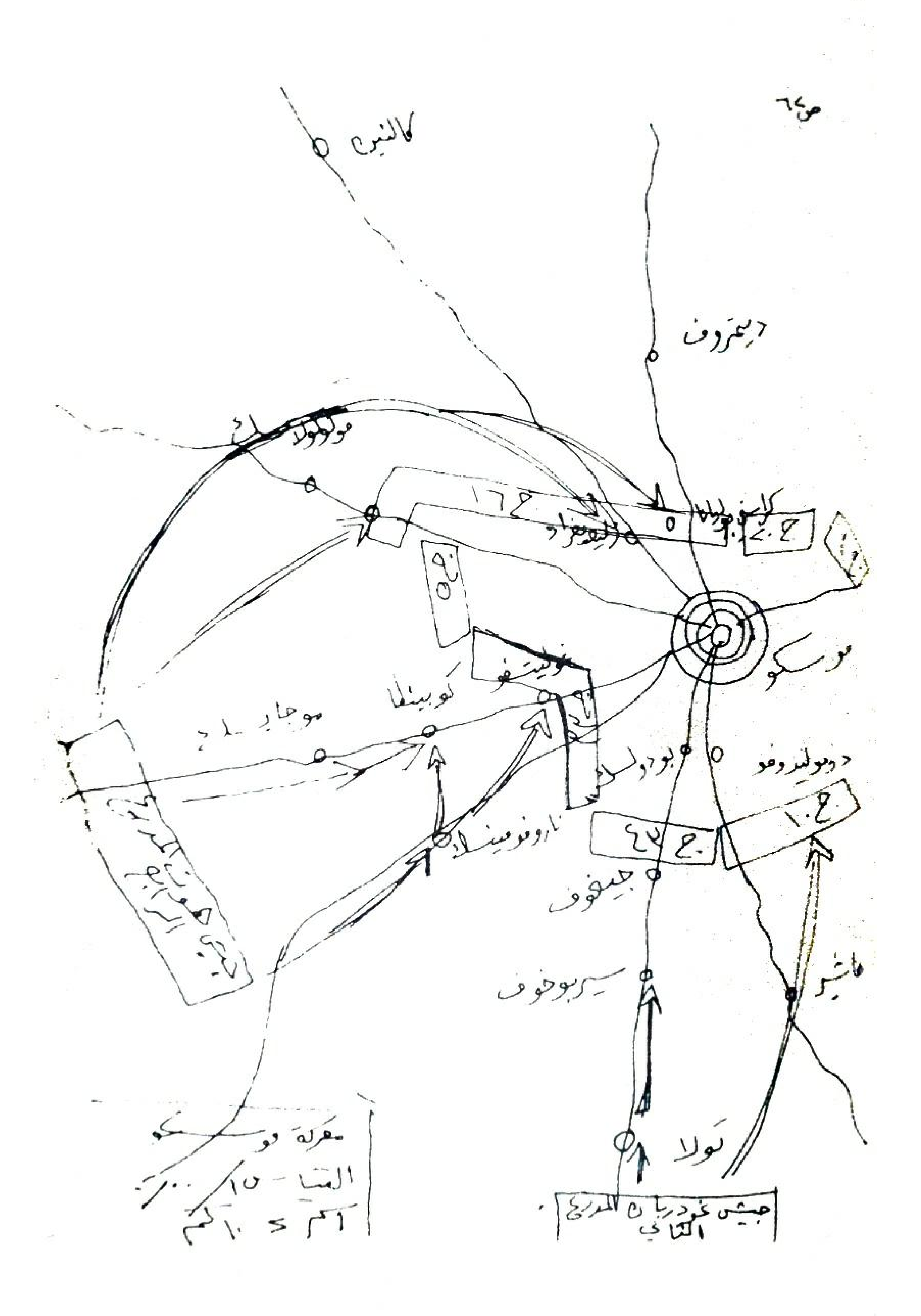
وفي العاشر من تشرين أول (اكتوبر) حصلت القوات الالمانية الزاحفة على التماس بالخط المذكور ، فاندلعت نحوه بعنف بالـغ كموج صاخب ليس لـه أول ولا اخر ، مستخدمين كل طاقاتهم العسكرية الجبارة وفق احدث خطط وتكتيكات الحرب الخاطفة ، فتمكنوا رغم الصمود الهائل من خرق الخط الدفاعي في عدة اماكن بعد أيام قليلة فاحتلوا كالينين (١٥٠ كم شمال غربي موسكو) وموجايسك ٨٠ كم غرب مدينة موسكو وفولوكولامسك (على مسافة ١٠٠ كم شمال غرب موسكو) واصبحوا على مشارف موسكو وعندئـذ أصبح الموقف فـي غاية الحراجة ولم يبق من لم يكتم انفاسه اتجاه هذه المحنة في كافـة انحـاء الدول المتحالفة • فاعلنت الحكومة السوفيتية (ان موسكو في حالة حصار اعتبارا مـن ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١) •

واندفع للمعمعة كل قادر على حمل السلاح ، ولبى النداء اطفال وفتيـات وشيب وشبان • ويقال ولا ادري صحة ذلك ان ستالين نشر نداء مؤثرا للغايـة جاء فيه (ان دافعوا عن مدينتكم اما انا فسأصمد في الكرملين) •

فسدت شوارع المدينة بالموانع والمتاريس واعمدة السمنت المسلح ، ولبى النداء مئات الالوف وامكن تشكيل خمس فرق جديدة بالاضافة الى اثنتي عشرة فرقة جرى تشكيلها من شبيبة موسكو في تموز •

واستمر اندفاع الالمان بعنف بالغ لدخول موسكو قبل ان يدركهم زمهرير الشتاء فدارت ملاحم ضرب فيها السوفيت المدافعون عن عاصمتهم اروع الامجاد وضروب البطولة الفذة النادرة ، فذهبوا في الخالدين •

ففي ميدان برادينو الشهير (١١٠كم غرب موسكو) حيث وقف الروس عام ١٨١٢ امام الامبراطور الفرنسي نابليون بونابارت ، صمدت حتى الابـادة


كالنين
ديمتروف
موسكو
ج ١٦
ج ٢٠
ج ٥
ج ٤٩
ج ١٠
كوبينكا
بودولسك
دوموديدوفو
ناروفومينسك
سربوخوف
تولا
كاشيرا
جيش غودريان المدرع الثاني
معركة موسكو
المسافة ١٥ ـ ٢٠
١كم ـ ١٠كم

أفواج كثيرة من فرقة ساراتون الثانية والثلاثين المشاة بقيادة العقيد بولوسوخين وقاومت بعناد عجيب فرقة الحرس الآلية الاولى قرب ناروفومينسك (٩٠ كم جنوب غرب موسكو) بقيادة العقيد ليزيوكوف بطل الاتحاد السوفيتي . ومثل ذلك فعلت كتائب عديدة حتى نحرت نحرا .

وتمكن جيش غودريان المدرع الثاني من احتلال مدينة تولا (٢٧٠ كم جنوب موسكو) فتداركت القيادة السوفيتية الامر فساقت الى تولا الجيش السوفيتي الخمسين من بريانسك (٣٤٠ كم جنوب غربي موسكو) فاندفع بنخوة نحو المركز الصناعي وعقدة المواصلات الهامة تولا ، فتبادلها مع جيش غودريان ثماني مرات حتى أصبحت المدينة اطلالا بالية ومقبرة لعشرات الالوف من المتحاربين من الجانبين ثم استقرت بيد السوفيت .

فحاول غودريان محاولة يائسة عجيبة ذات تأثير نفسي بالغ ، اذ شن هجوما ليليا بالدبابات المضاءة المصابيح والمسندة بهجمات جوية ليلية عنيفة ، الا ان حماة الخط الدفاعي عن تولا صمدوا بثبات يحموا بذلك الجناح الايسر للجبهة الغربية ، فضربوا مثلا رائعا في الدفاع والفداء .

ازاء هذا الدفاع العنيد لم يضع غودريان وقتاً فتحول من تولا الى الشمال منها ، فوجه ضربة شديدة الى الشمال الشرقي من تولا لكي يلتف حول موسكو فيصل الى شرقها !! فاحتل كاشيرا (١٠٠ كم جنوب شرقي موسكو) فازداد الموقف حراجة وأصبح الالمان على بعد عشرات الكيلو مترات من عاصمة الاتحاد السوفيتي .

وفي أوائل تشرين الثاني أمكن بصعوبة بالغة ايقاف الجحافل الالمانية في كافة الاتجاهات ، بعد ان حققت طفرة بمدى ٢٥٠ كيلو متر في شهر واحد وسط سيل من دماء المدافعين والمهاجمين .

الجولة الاخيرة :

استفاد الالمان من فترة التوقف لاعادة التنظيم وتعويض الخسائر ، كما استفاد السوفيت من هذه الفترة •

فساقوا نجدات جديدة بلغت مائة ألف مقاتل و٣٠٠ دبابة و٢٠٠٠ مدفع وانشأوا الخطوط الدفاعية على طول المناطق الشمالية والشرقيةمن العاصمة ،وكانت أهم مناطق المقاومة في منطقتي بركتي خيمكي وتساريتسينو ، وهما الآن داخل مدينة موسكو •

وفي ذكرى ثورة اكتوبر (تشرين الثاني) جرى الاستعراض العسكري السوفيتي في الساحة الحمراء احتفالا بالذكرى الرابعة والعشرين للثورة ، في جو مشحون بالمفاجآت وفي هذا الموقف المتأزم ، فكان هذا القرار بحشد قطعات للاستعراض ـ والعدو على مقربة من العاصمة ـ أمر املته ولا شك الضرورة القصوى لرفع معنويات الشعب والجيش الاحمر ليس الا • والقى زعيم الاتحاد السوفيتي ورئيس لجنة الدولة للدفاع ستالين خطابا قال فيه (ان الحرب التي تخوضونها هي حرب تحررية ، حرب عادلة • ولتلهمكم في هذه الحرب المآثر البطولية لاسلافنا العظام الكساندر نيفسكي وديمتري دونسكي • وكوزمامينين وديميتري بوجارسكي والكساندر سوفوروف وميخائيل كوتوزوف! ولتظللكم راية لينين العظيم المظفرة) فأثر العرض والخطاب تأثيرا هائلا في رفع المعنويات ، اذ اثار ستالين بخطابه مشاعر قومية روسية واكد على الاسماء الروسية من أبطال العهد القيصري لان المعركة كانت تتطلب ذلك • وهي مفاهيم كانت بعض الاحزاب والشخصيات الماركسية ترفضها خطأ ، والآن باتت الحاجة اليها لا مفر منها ، فلم يقل لهم لتلهمكم الاشتراكية ولا النضال البطولي عن قضايا الشعوب ولا نضال الطبقات الكادحة • وهذا ما يؤكد اصالة النظرة القومية العربية الاشتراكية التي حافظت على هذه القيم مع التطبيق الاشتراكي •

ضمدت القوات الالمانية جراحها ، وكان عمودها الفقري هذه المرة المارشال غودريان قائد الجيش المدرع الثاني والمارشال فون كالوغة قائد الجيش

الرابع • وكانت تواجهها على الخطوط الدفاعيـــة عن مدينة موســكو الجيوش السوفيتية الاول والخامس والسادس عشر والجيش العشرون والثالث والثلاثون والثالث والاربعون و٦ جيوش احتياطية •

وفي فجر يوم ١٥ تشرين الثاني بدأ الهجوم الالمـــاني فمـــادت الارض وأنّت من اندفاع الدبابات بينما احالت مدفعية الجانبين سماء المعركـــة فصيرته وهجا من نار •

واتى على الرجال من الجانبين يوم مشهود ، سفك فيه الجانبان من الدمـاء ما لا يخطر على بال ، ولا يدركه خيال ، في معركة ضارية يشيب لها الوليـد، وتخطف باهوالها على بال الشجعان • واتجاه المقاومة السوفيتية العنيدة شق الالمـان طريقهم نحو موسكو ببطء شديد وهم يتكبدون أفدح الخسائر • ولما اعياهم الدفاع المجيد • والتعب الشديد ، ركزوا على موسكو من الشمال في محـــاولة للوصول الى طريق فولوكولامسك ، والزحف من هناك على موسكو • فسدت امامهم فرقة المشاة ٣١٦ بقيادة الجنرال بانفيلوف من الجيش ١٦ الذي يقـــوده روكوزوفسكي الطريق عند محطة دوبوسيكوفو ٨٠ كم شمال غربي موســـكو وقاومت هذه الفرقة الهجوم الالماني بكل معاني البسالة والتضحية •

فموجات من الدبابات الالمانية يتصدى لها جنود الفرقة برماناتهم اليدويـــة وقنابل الحريق ، وهجمات بالمشاة ينهض لها مشاة الفرقة من مسافة لا تتجاوز ١٥٠ مترا فتباد الصفوف ، وتندفع خلفها صفوف اخرى من الالمان الذين اظهروا ضروبا فذة أيضا في الدفاع والقتال وهم المجربون في الحروب • وعندما تـــأزم الموقف بشكل ليس له مثيل صرخ القائد السياسي كلوتشكوف بمن تبقى مـــن الرجال المدافعين (روسيا شاسعة ولكن لا مجال للتراجع ، فوراءنا موسكو !) يا لها من صرخة تذكرني بصرخة طارق بن زياد البطل العربي بجيشه الصغير بعد عبور مضيق جبل طارق (أيها الناس اين المفر العـــدو امامكـــم والبحـــر وراءكم •••) بلغ كلاهما الذروة في الحماس للدفاع عن الشرف •

واستمرت المعركة بين المهاجمين ومن بقي حيا من جنود فرقة بانفيلوف ٣١٦ ، وعندما ادرك كلوتشكوف ان لا مفر من الموت ، القي بنفسه مع حزمة من القنابل وهو المثخن بالجراح تحت دبابة المانية ففجرها ٠

توقف الهجوم الالماني في هذا القاطع لفداحة الخسائر وعناد المقاومين ، وابيدت فرقة بانفيلوف بما فيها القائد نفسه ، وحلت محلها موجات من المدافعين عن موسكو ٠ لقد سدوا طريق موسكو باجسادهم ٠ وكذلك باءت محاولات الالمان من الجنوب بالفشل ، اذ ذاد الجيش الخامس السوفيتي عن مواقعه شمالي كوبينكا (٥٠ كم غرب موسكو) وغوليتسفو ٣٠ كم غرب موسكو فحاول الالمان شق طريقهم من الغرب ، وصمموا بشكل نهائي على خرق الدفاعات السوفيتية ودخول موسكو ٠

وفي ١ كانون الاول ١٩٤١ تمكنوا من خرق الموضع الدفاعي شمال نارو فومينسك ٥٥ كم جنوب غربي موسكو والاندفاع على الطريق الى كوبينكا (٥٠ كم غرب موسكو) فصمدت لهم قطعات الجيش الخامس بقيادة الجنرال غفوروف ٠

ثم غيروا اتجاه الهجوم الى الشرق من كوبينكا للوصول الى غوليتسفو (٣٠ كم غرب موسكو) فذاد الجيش الثالث والثلاثون السوفيتي عن مواضعه ببسالة نادرة ٠

وما ان حل يوم ٥ كانون أول حتى صدت الجيوش الالمانية تماما على مشارف موسكو ، بعد ان فقدت ٥٥ ألف قتيل ومائة ألف جريح ومصاب بسبب الصقيع ، مع فقدان ٧٧٧ دبابة و٣٠٠ مدفع و١٥٠٠ طائرة ٠

وفي قاطع شمال نارو فومينسك وحده فقد الالمان ١٠ الاف قتيل ٠

وذكر المارشال فون كالوغة في تقريره الى قيادة مجموعة جيوش المركز ، حيث كانت قطعات جيشه الرابع تحاول اقتحام منطقة نارو فومينسك (ان قواته في وضع عصيب للغاية ، وان نجدتها أمر مستحيل بسبب عدم وجود قوات كافية ٠)

وقال (ان القدرة القتالية للفيلقين ٥٧ و٢٠ هبطت الى درجة انهما لم يعودا يتسمان بأية أهمية من ناحية الحركات العسكرية ... وان الخسائر بالارواح هائلة جدا) .

وازاء هذه الحالة وازدياد النجدات السوفيتية ، اوقف الالمان هجومهم يوم ٥ كانون الاول بينما كانت الجيوش السوفيتية ٣٣ و٤٣ و١٦ و٥ تقف بثبات الى الغرب والجنوب الغربي والشمال الغربي مدافعة عن موسكو ، واحتل الجيشان العشرون والجيش الاول مواقعهما شمال العاصمة ، بينما وقف الجيش العاشر يرصن مواقعه جنوب شرقي العاصمة ووراءهم ٦ جيوش احتياطية .

وفي السادس من كانون الاول ١٩٤١ شن السوفيت هجومهم المقابل العام في منطقة موسكو في زمهرير الشتاء بسبعة عشر جيشا ، والذي ادى فيما بعد الى دحر الجبهة المركزية الالمانية في شتاء عام ١٩٤١ ، فكان له الاثر الكبير في دحر الجيوش الالمانية فيما بعد وهزيمة المانيا في الحرب العالمية الثانية .

هذا الدفاع المجيد لم تدافع بمثله مدينة اخرى ، وهو مثل حرى بكل انسان اينما كان وحيثما كان ، ان يتحرى اسبابه ويدرك معانيه ، ويتمثل بتلك الروح البطولية في الدفاع عن الوطن .

لماذا صمدوا :

لقد جرى بين القوات المقاتلة السوفيتية عمل حزبي واسع النطاق وتوعية سياسية ليس لها مثيل ، من أجل الصمود ورفع المعنويات للذود عن الوطن والذب عن العقيدة .

كما ان وجود الحزب وانتشاره في صفوف القوات المحاربة السوفيتية قد وحد الجنود وقوى من رابطة القتال ، وشد من انضباط الوحدات العسكرية السوفيتية ورفع قدرتها القتالية . كما ان العمل الحزبي داخل المصانع قد زاد ليس فقط من انتاجها بل حسن نوعيتها حسب متطلبات الحرب .

وبفعل الحزب وايمان الحزبي بعقيدته وقضية وطنه ، امكن بذل جهود جبارة لاعداد المتطوعين وتشكيل العديد من الفرق العسكرية بسرعة مذهلة ، عززت الجبهات وعوضت عن الخسائر ، ومكنت القوات المحاربة ان تزيد من صلابتها وعنادها وصمودها اتجاه اشرس هجمة عسكرية عرفها التاريخ واتجاه أحسن قوات عسكرية مدربة شاهدها الزمان •

ان العمل الجبار في احداث تغيير جذري في التركيب الطبقي للمجتمع السوفيتي ، وازالة الطبقات المستغلة ، كان العامل الاساس في الصمود العجيب، اتجاه هذا القتل الفظيع • واستسهال الموت في سبيل العقيدة والوطن • فقد كانت الطبقة العاملة والفلاحية والمثقفون والجنود وحدة متراصة جمعها وبلور ارادتها الحزب • ولذلك كانت وحدة الشعب والجيش أهم العوامل في تحقيق الصمود ومن ثم الانتصار • كما ان الارادة الحديدية للقيادة الواعية وعملها الدؤوب المخلص وتضحياتها الجسيمة وثباتها ورباطة جأشها في الملمات ، من أسباب الظفر المهمة للغاية • ولعل أكبر خطأ ارتكبه هتلر هو عدم تقديره للتركيب الاجتماعي الجديد في الاتحاد السوفيتي ، وعدم تقديره لاهمية وجود الحزب العقائدي في قيادة الشعب والدولة والقوات المسلحة وما ينجم عن ذلك من زيادة في الانتاج وصلابة في الصمود ، وزيادة في الامداد ، وابداع في اساليب الحرب، وصبر جميل على المكاره والمحن والكوارث •

لو لم يكن الحزب موجودا في الاتحاد السوفيتي لكان من المستحيل على الاتحاد السوفيتي مواصلة ذلك النزف الشديد في الدماء ، وذلك الصمود اللامتناهي ، بل لما كانت هناك روائع سامية في البطولة والفروسية والعناد • فكم من دولة تقطعت اوصالها وانهارت كلمح البصر امام الجحافل الالمانية في اوربا ، اذ لم يكن هناك تماسك في مجتمعها ، ولم يكن هناك ايمان بعقيدة شاملة جامعة •

لست امتدح الشيوعية والحزب الشيوعي ولكن هذا كان واقع الحال •

ولكني امتدح وجود العقيدة والايمان بها أية عقيدة ثورية كانت طالما يؤمن بها الناس • ونحن العرب وفي العراق خاصة حيث يوجد الحزب العقائدي

والحزب القائد علينا ان ندرك أهمية هذا العمل الجبار الذي قام به الحزب الشيوعي السوفيتي فنتخذ منه مثالا يحتذى .

ان حزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي بقدرته على احداث التحولات الاجتماعية بفعل من معطيات نظريته الاشتراكية ، وبفعل من ايمانه بالشعب العربي وقومية العرب وربط ماضيهم بحاضرهم ، مؤهل ليلعب دورا خطيرا في تاريخ العرب الحديث .

لقد انهزمت جيوش العرب عدة مرات في فلسطين ، بسبب من أمراض التركيب الاجتماعي أولا وفقدان الاداة الموحدة للشعب والقوات المسلحة وهو الحزب ثانيا . وانعدام الرقيب والحسيب على تصرفات الجهاز التنفيذي لمصلحة الشعب الا وهو الحزب ثالثا وانعدام القيادة الواعية ذات الارادة الحديدية القيادة الشجاعة ، القيادة الجسورة رابعا .

عندما يؤمن الانسان الحزبي بانه يجسد ارادة الشعب وطموحه واهدافه، وانه يعمل بجد لسعادة الشعب وخيره ومستقبله ، يستحيل عليه ان يقبل بالهوان بله التراخي والكسل والاهمال ، لذلك علينا ان نخلق في كل فؤاد عربي ما يجسد ارادة الشعب العربي بملايينه العديدة ، وان نجعله يؤمن كما آمن غيرنا بان ثمن الحرية دم . فنبذل دماءا يستحقها هذا الوطن لكي تنتصر ارادة شعبنا ويتحقق طموحه في الوحدة والحرية والاشتراكية . فنغير تركيب مجتمعنا العربي المريض حاليا لنخلق منه مجتمع الصمود ومجتمع الانتصار .

وما سوى ذلك يغير من الواقع شيئا .

هذه الفكرة كانت هي الغاية من كتابة هذا الفصل في الحرب والدفاع عن موسكو ، بل هي الهدف الاساس من كتابة هذا الكتاب .

فعسى ان أكون قد أفدت واستفدت . وحسبي اني بذلت جهدا حسبت انه مفيد لوطني ومفيد للبلد الصديق وشعوب الاتحاد السوفيتي المحبة للعرب والتي تشدنا واياهم رايات النضال ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية والاستغلال .

وستبقى كذلك الى ابد الابدين .

المحتوى



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(٢٩٣ لسنة ١٩٧٥)

دار الحرية للطباعة ـ بغـداد
مطبعة الحكومة
١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغـــداد

دار الحرية للطباعة بغـداد .
١٩٧٥ - ١٣٩٥

السعر ١٠٠ فلس